

فِي تِجْنِشْتِينْ وَفِلْسَفَةِ التَّحْلِيلِ

عِزْمٌ إِسْلَامٌ

نتائج على نظرياته وأفكاره ومنهجه التحليلي ، مثل ظهور فلسفة اللغة العادية ، والفلسفة التحليلية الملاجية ، وغير ذلك من المدارس والاتجاهات الفلسفية المعاصرة التي تأثرت تأثيراً كبيراً بتحليلات فتحنثتين المختلفة . هذا ويمكن تلخيص أهم السمات العامة التي توضح أهميته في الفكر الفلسفي المعاصر فيما يلي :

أولاً : ان فلسفته كانت بداية لتحول حاسم في الفلسفة المعاصرة ، وفي هذا المعنى يقول شليك (٢) « انتي مقتنع بأننا نجد أنفسنا الان

تمهيد

تعتبر فلسفة التحليل Philosophy of Analysis من أكثر الفلسفات تأثيراً في الفكر المعاصر ، كما يعتبر فتحنثتين أبرز ممثلي هذا الاتجاه الفلسفى ، مما حدا بأحد المعاصرين (١) إلى القول (بأن فتحنثتين كان واحداً من كبار فلاسفة القرن العشرين) . وذلك راجع أساساً إلى تغييره مفهوم الفلسفة وتصوره لوظيفتها ، فضلاً عن الطريقة الجديدة التي اصطنعها في التفسير ، وهي تحليل اللغة . كما يرجع كذلك إلى ما ترتب من

Pitcher, G : The Philosophy of Wittgenstein, preface, P.v.

(١)

(٢) وهو موريس شليك M. Schlick استاذ الفيزياء والفلسفة بجامعة فيينا والتوفيق عام ١٩٣٦ .

بل تمثلت كذلك فيما ترتب على اصطدام المنهج من تغيير موقفنا من الفلسفة نفسها التي أصبحت عنده « تحليلًا للفة » التي نتكلم بها في الفلسفة ، وبذلك تغير مجال البحث الفلسفى، فانتقل من البحث في الأشياء أو الوجود أو العلة أو الجوهر أو غير ذلك ؛ إلى مجال العبارات والالفاظ لبيان ما له معنى منها وما لا معنى له (كما في فلسفته الأولى) أو لبيان الصحيح منها والخطيء بناء على اتفاقها أو اختلافها مع قواعد الاستخدام العادى ، كما في فلسفته المتأخرة (١) .

وهكذا تغير مفهوم الفلسفة عنده فأصبحت منهجاً خالصاً لا مجموعة من الحقائق ، أي أنها أصبحت منهجاً لعلاج الالتباسات التي تنشأ عن سوء فهم منطق اللغة أو عن الاستعمال الخاطئ لعباراتها . ويشبه فتنجشتين مهمة الفيلسوف في هذه الحالة بمهمة الطبيب . فكما أن الطبيب يعالج الأمراض بالكشف عن أسبابها ، وكذلك الفيلسوف يتناول المشكلات الفلسفية بالتحليل للكشف عن الأسباب التي تؤدي إليها ، وهي أسباب تتعلق باستخدام اللغة ، وفي هذا الصدد يقول فتنجشتين : « إن طريقة تناول الفيلسوف لمشكلة ما ، تشبه طريقة علاج مرض من الأمراض » (٢) .

ولقد ترتب على ذلك أن تغير موضوع الفلسفة أيضاً ، فأصبح تحليل العبارات التي تقال في الفلسفة ، أي العبارات التي تصاغ فيها مشكلات الفلسفة التقليدية ، وبذلك أصبحت الفلسفة عنده هي « فلسفة للفلسفة »

أمام نقطة تحول حاسم في تاريخ الفلسفة . وقد نبعت الضرورة الأولى لهذا التحول الجديد أصلاً من المنطق ، وكان لا ينبع قد الملح إلى بداية هذا الاتجاه ، ثم فتح كل من رسول وفريجه الطريق إلى ذلك . إلا أن فتنجشتين « برسالته المنطقية الفلسفية عام ١٩٢٠ » كان أول من أوصلنا إلى نقطة التحول الحاسمة » (٣) .

والواقع أن التحول الجديد في الفلسفة لا يكاد يتمثل في النتائج الفلسفية التي انتهى إليها فتنجشتين بقدر ما يتمثل في المنهج الذي اتبעה في بحثه الفلسفى . ولم يكن هذا المنهج الجديد إلا منهجاً التحليل – أي تحليل القوالب اللغوية التي نعبر بها عن المشكلات الفلسفية ونوصوتها فيها – والذي نستطيع بتطبيقه أن نتبين أن أغلب هذه المشكلات ، ليست أصلاً بالمشكلات الحقيقة ، بقدر ما هي مشكلات زائفة ترتب على سوء فهم منطق اللغة .

وتعود أهمية استخدام منهج التحليل هذا ، إلى الآخر البالغ الذي تركه في منهج فلاسفة التحليل المعاصرين بكل اتجاهاتهنـم وكذا فلاسفة الوضعية المنطقية . حتى لم يمكن القول بأن فلسفة التحليل المعاصرة تبدأ فعلاً بفلسفة فتنجشتين ومنهجه التحليلي (٤) .

ثانياً : ان فلسفة فتنجشتين كانت أشبه ما تكون بالثورة على الفلسفة التقليدية (٥) . والثورة التي أحدثها فتنجشتين في الفلسفة لم تكن مقصورة على اصطدامه منهجاً جديداً ،

(٣) انظر كتابنا « لدغة فتنجشتين » ، صفحة ٣٤٢ .

Charlesworth, Maxwell : *Philosophy of Linguistic Analysis* P. 103. (٤)

Chappell, C. (edition) : *The Philosophy of Mind.* P. 103. (٥)

(٦) د. عزمي اسلام : « لدغة فتنجشتين » ، صفحة ٣٤٤ .

Wittgenstein, L. : *Philosophical Investigations*, Part I, sec. 255, P. 91. (٧)

خامساً : ان أغلب الإنكار التي ذهب إليها فتحشتين - سواء في فلسفته الأولى أو فلسفته المتأخرة - مثل أفكاره عن الذرية المنطقية ، والمنطق ، وعن النظرية التصويرية للغة ، وعن تحقيق القضايا وعن الخلو من المعنى ، وعن نظرية الاستخدام الفعلى للغة فضلاً عن تصوره الجديد لوظيفة الفلسفة ، ولمهمة الفيلسوف ، ولمنهج الذي يصطنعه أثناء اشتغاله بالفلسفة .. كل ذلك كان له تأثير بالغ في كثير من عاصره أو جاء بعده من الفلسفة (١١) .

★ ★ ★

حياة الفيلسوف وأهم مؤلفاته :

لديج يوهان فتحشتين Ludwig Johann Wittgenstein في الرياضيات والمنطق ، تحليلي النزعة والاتجاه . ولد في أبريل عام ١٨٨٩ ودرس في ليتنتر Lintz بشمال النمسا ، ثم التحق بالأكاديمية الصناعية العليا في برلين عام ١٩٠٦ لمدة عامين ، انتقل بعدها - عام ١٩٠٨ - إلى كلية الهندسة بجامعة مانشستر بإنجلترا لدراسة الهندسة والملاحة الجوية ، ومما يروى عنه أنه قد صمم محركاً نفاثاً للطائرات في ذلك الوقت . إلا أن اهتمامه بالرياضيات التطبيقية بدأ يقل ، وسرعان ما اتجه إلى الرياضة البحتة، ومنها إلى اسس الرياضيات وفلسفتها حتى أنه توجه عام ١٩١١ إلىينا في المانيا ليناقش أفكاره عن اسس

وأصبح وبالتالي عمل الفيلسوف هو أن يكون فيلسوفاً للفيلسوف بتحليله لما يقول (٨) .

ثالثاً : ان فتحشتين كان هو الذي وجه أنظار الفلسفه المعاصرین الى دراسة اللغة ، على الرغم من أن اقامته فلسفة اللغة لم تكن هدفاً ولا جزءاً من هذا الهدف . فقد بدأ الفلسفه المعاصرون في السنوات الأخيرة يهتمون - بفضل تحليلاته - بالبحث في طبيعة العبارات التي تقولها عن العقل أو عن الأشياء المادية أو عن الخير ... لا بالبحث في هذه الأشياء نفسها (٩) .

رابعاً : ان فتحشتين كان أول من تكلم في المنطق المعاصر بوصفه مجرد علامات اتفاقية لا تكشف عن طبيعة الأشياء . فالمنطق عنده لم يكن الا مجرد استخدام متسبق لمجموعة من الرموز متفق عليها ، وبالتالي فهو لا يكشف عن بناء العالم الخارجي ولا عن طبيعته على النحو الذي كان يتصوره العقليون الأفلاطنيون .

كما أنه كان أول من ذهب إلى أن قواعد المنطق - لو حللناها - تبين لنا أنها هي نفسها قواعد اللغة الصحيحة ذات المعنى . وهو بهذا إنما يقيس نوعاً من التوازي بين قواعد المنطق من ناحية ، وقواعد اللغة من ناحية أخرى على أساس أن صورتيهما متشابهتان . ومن ثم فالتفكير واللغة عنده شيء واحد . ولقد عبر فتحشتين عن ذلك بقوله (ان الفكر هو القضية ذات المعنى) (١٠) . ولقد كان لهذه الفكرة أبعد الأثر بعد ذلك عند رودلف كارنب و خاصة في كتابه « البناء المنطقي للغة » .

Charlesworth, M. : Philosophy and Linguistic Analysis, P. 3.

(٨)

Pole, D. : The Later Philosophy of Wittgenstein, P. 107.

(٩)

(١٠) فتحشتين : « رسالة منطقية فلسفية » ترجمة عربية بقلم دكتور عزمي اسلام ، عبارة رقم ٤ ، صفحة ٨٢ .

(١١) د . عزمي اسلام : « لدیج فتحشتين » ، صفحة ٣٤٧ .

فلسفة التحليل عند فتحنستين :

التحليل عند فتحنستين هو السمة البارزة في فلسفته، وهو يستخدمه منهجاً في الفلسفة لا كفایة فلسفية ، بمعنى أنه لا يستهدف التحليل لمجرد تقسيم العالم الى مجموعة من الواقع ، أو رد اللغة الى عدة قضايا ، أو رد المعنى الى طريقة استخدامنا للألفاظ . إنما يستخدم التحليل لكي يوصله الى غاية ابعد من ذلك ، وهي توضیح المشكلات الفلسفية التي اذا ما وضع معظمها تحت مجهر التحليل ، زال عنها كل غموض واتضح أنها اما مشكلات زائفة او أنها ليست بمشكلات أصلًا . وهو في هذا الصدد يقول : (ان معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة ، بل هي خالية من المعنى . فلسنا نستطيع اذن أن نجيب عن أسئلة من هذا القبيل ، وكل ما يسعنا هو أن نقرر أنها خالية من المعنى . فمعظم الأسئلة والقضايا التي يقولها الفلسفة إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا . . . واذن فلا عجب اذا عرفنا أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الاطلاق) (١٥) .

وهكذا لم تعد الفلسفة عند فتحنستين هي اقامة الانساق الميتافيزيقية ، بقدر ما اضحت كلها تحليلاً ونقداً للغة .

ولقد ترتب على هذا أن أصبح مفهوم الفلسفة لديه هو أنها مجرد توضیح للأفكار

الرياضية مع فريجه (١٢) الذي نصّه بالعودة الى انجلترا للدراسة اسس الرياضيات مع برتراند رسل (١٣) في كمبردج . ولقد اهتم فتحنستين أثناء وجوده في كمبردج فيما بين عامي ١٩١١ ، ١٩١٤ بدراسة الرياضيات والفلسفة والمنطق وعلم النفس والجمال ، ثم التحق بجيش النمسا مع بداية الحرب العالمية الاولى ، ووقع أسرًا في يد القوات الايطالية قرابة ثمانية أشهر (من نوفمبر ١٩١٨ حتى أغسطس ١٩١٩) ثم اشتغل بعد انتهاء الحرب بالتدريس في المدارس الأولية بقرى النمسا رغبة منه في العزلة والهدوء حتى عام ١٩٢٦ حين ترك هذا العمل ، وتفرغ في عزლته لدراسة الفلسفة والرياضيات والموسيقى . ثم عاد الى كمبردج في نهاية عام ١٩٢٨ وحصل على درجة الدكتوراه منها عام ١٩٢٩ ، وكان البحث الذي تقدم به للحصول على هذه الدرجة هو كتابه « رسالة منطقية فلسفية » الذي كان قد طبع ونشر قبل ذلك بحوالي ثمانى سنوات ، وأصبح عام ١٩٣٠ زميلاً في كلية الفلسفة التي ظل بها حتى عام ١٩٣٦ حين سافر الى النرويج معتزلاً قرابة العام بدأ فيه تأليف كتابه « أبحاث فلسفية » لكنه عاد الى كمبردج عام ١٩٣٧ مرة اخرى وخلف جورج مور (١٤) على كرسى الفلسفة حتى عام ١٩٤٨ حين اعتزل بالريف الايرلندي حتى توفى متأنراً بمعرض السرطان عام ١٩٥١ .

(١٢) G. Frage (١٨٤٨ - ١٩٢٥) عالم الرياضيات والمنطقى الالمانى الذى كان قد نشر حتى ذلك الوقت المؤلفات التالية « تدوين الأفكار » عام ١٨٧٩ ، « اسس علم الحساب » عام ١٨٨٤ ، « المبادئ الأساسية لعلم الحساب » فيما بين عامي ١٨٩٣ ، ١٩٠٣ .

(١٣) B. Russell (١٨٧٢ - ١٩٧٠) الفيلسوف الانجليزى المعاصر الذى كان قد نشر عام ١٩٠٣ كتابه « اصول الرياضيات » وكذا كتابه « المبادئ الرياضية » بالاشتراك مع الفرد نورث هوايتهن فيما بين عامي ١٩١٠ ، ١٩١٣ .

(١٤) G. E. Moore (١٨٧٣ - ١٩٥٨) الفيلسوف الانجليزى المعاصر والرائد الأول للاتجاه التحليلي في الفلسفة المعاصرة ، اهم مؤلفاته : « مبادئ الاخلاق » ١٩٠٣ ، « بعض المشكلات الأساسية في الفلسفة » ١٩٥٣ .

(١٥) لدفیج فتحنستین : « رسالة منطقية فلسفية » - الترجمة العربية ، العبارة رقم ٤٠٠٣ ، صفحة ٨٣ .

لاستخدام اللغة) (١٨) ، وهو بهذا يعتبر أن مهمة الفلسفة مهمة علاجية تهدف إلى علاج المشكلات الفلسفية التي تنشأ عن الخلط والبلبلة في أذهاننا الناتجة عن سوء استخدام اللغة (١٩) .

وكان هذا هو الهدف من التحليل عند فِي تُجْنِشْتَيْن ، وإن كانت طريقة في التحليل – في فلسفته الأولى – تختلف عنها في فلسفته الأخيرة ، فالتحليل في فلسفته الأولى يعتمد على رد ما هو مركب إلى عناصره الأولى أو إلى وحداته البسيطة التي لا تنحل إلى ما هو أبسط . فالعالم عنده ينحل إلى وقائع الواقع تنحل إلى بسائط أو أشياء . وللغة تنحل إلى مجموعة من القضايا الأولى أو الذرية والقضية الأولية تنحل إلى أسماء . . . وهكذا .

أما التحليل في فلسفته المتأخرة فيسلك اتجاهًا آخر ، إذ نجده ينصب على اللغة معرفة الطريقة التي تستخدم بها الألفاظ بالفعل أو على ما يسميه أحياناً باسم ألعاب اللغة . وقد عبر فِي تُجْنِشْتَيْن عن معنى التحليل في هذه الحالة بقوله (ويزول ذلك اللبس وسوء الفهم المتعلق باستخدام الألفاظ إذا ما استبدلنا صورة تعبر بصورة تعبر أخرى) ، ونستطيع أن نسمى ذلك بتحليل صورة التعبير) (٢٠) .

والتحليل عند فِي تُجْنِشْتَيْن يصلح للتطبيق على كثير من المجالات أهمها عنده ، مجال الواقع الخارجي أو العالم ، ومجال اللغة ، وكذا مجال الفكر (فلسفياً كان أو علمياً أو رياضياً) . وستتناول فيما يلى بعض

عن طريق تحليل العبارات التي تصاغ فيها هذه الأفكار ، وهو في هذا الصدد يقول (إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقى للأفكار . فالفلسفة ليست نظرية من النظريات ، بل هي فاعلية . ولذا يتكون العمل الفلسفى أساساً من توضيحات . ولا تكون نتيجة الفلسفة عدداً من القضايا الفلسفية ، إنما هي توضيح للقضايا . فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة والاظلت تلك الأفكار معتمدة مهمة ، اذا جاز لنا هذا الوصف) (١٦) .

ومعنى ذلك أن التحليل عنده لا يضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة ، ولا تنتج عنه مبادئ جديدة . بل هو مجرد طريقة توضح ما نقوله ، لكن نتبين – بناء عليها – ما له معنى من كلامنا وما لا معنى له ، وأن نتكلم وبالتالي كلاماً له معنى . ولذا فالفلسفة تبين بياناً واضحاً ما يمكن التحدث عنه ، اذ أن (كل ما يمكن التفكير فيه على الاطلاق ، يمكن الحديث عنه بوضوح ، وكل ما يمكن أن يقال ، يمكن قوله بوضوح) (١٧) .

والواقع أن هذا كان هو الهدف من التحليل عند فِي تُجْنِشْتَيْن سواء في فلسفته الأولى كما هي متمثلة في « الرسالة المنطقية الفلسفية » – وذلك على النحو سالف الذكر – أو في فلسفته المتأخرة كما هي متمثلة في كتاب « الأبحاث الفلسفية » الذي يذهب فيه إلى القول بأن (المشكلات يتم حلها – لا باعطائهما تفسيراً جديداً – بل بواسطة ترتيب وتنظيم ما نعرفه بالفعل من قبل . فالفلسفة عبارة عن معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا

(١٦) المرجع السابق، عبارة رقم ١١٢، صفحة ٩١.

(١٧) المرجع السابق ، العبارات رقم ١١٥، ١١٦، ١١٧ - صفحة ٩٢ .

Wittgenstein, L. : Philosophical Investigations, sec. 109, P. 47

(١٨)

(١٩) د . عزمى اسلام : « لدليع فِي تُجْنِشْتَيْن » ، صفحة ٧٨ .

Wittgenstein, L. : Philosophical Investigations, sec., 90, P. 43

(٢٠)

يتوقف بناء عليها صدق القضايا أو كذبها ، لأنه (اذا كانت القضية الأولية صادقة) ، كانت الواقعية الذرية موجودة . وإذا كانت كاذبة ، لم يكن للواقعية الذرية وجود (٢١) . ولما كان العالم عنده هو مجموع الواقع الواقع الذري الموجودة ، كان من الضروري أن يصبح حديث فتجلشتين عن تحليل العالم سابقاً لحديثه عن تحليل اللغة .

والواقع أن معنى العالم عند فتجلشتين يحتاج إلى نوع من التحديد ، فهو أحياناً يدل عنده على العالم الموجود الفعلى . وهذا ما يفهم من بعض عبارات « رسالته » مثل : (العالم حدوده الواقع ، وان هذه الواقع هي جميع ما هنالك منها) ، (٢٢) ومثل (العالم هو مجموع الواقع الواقع الذري الموجودة) (٢٣) .

كما أنه قد يدل عنده أحياناً على العالم الممكن لا الفعلى ، وهذا ما يتبدى في بعض عبارات « رسالته » مثل : (الواقع في المكان المنطقي هي العالم) (٢٤) ، ومثل (ان المنطق يملأ العالم ، وحدود العالم هي أيضاً حدوده) (٢٥) .

لكن بعض عبارات أخرى من « رسالته » لا توحى بالاقتصار على أحد المعنيين السابقين ، بل يجمع بينهما معاً ، مثل قوله « ان جملة الوجود الخارجي هو العالم » (٢٦) ، وقوله « ان الوجود الخارجي هو وجود وعدم وجود الواقع الذري » (٢٧) الأمر الذي يلزم عنه أن

هذه الموضوعات كل على حدة ، وان لم تكن هي عنده منفصلة مستقلة في فلسسته وتحليلاته . فتحليل اللغة مرتبط عنده بتحليل العالم طالما أن القضية الأولية - وهي الوحيدة الأخيرة التي نتحل إليها اللغة - تكون رسماً للواقعية الذرية وهي الوحيدة الأولية التي ينتحل إليها العالم . كما أن تحليل الفكرة مرتبط عنده بتحليل اللغة ، طالما أن اللغة هي الصياغة اللفظية أو الجهاز الرمزي الذي نعبر به عن الأفكار والمعاني المختلفة .

أولاً — تحليل العالم

يجعل فتجلشتين من تحليل العالم بداية لفلسفته في « الرسالة المنطقية الفلسفية » مع أن الفرض الأساسي من التحليل عنده هو تحليل اللغة وبيان كيف يكون سوء فهمنا لمنطقها هو السبب في ظهور كثير من مشكلات الفلسفة . لكن أليس من الأولى بفتحجشتين أن يبدأ بحثه باللغة وتحليلها بدلاً من البدء بتحليل العالم ؟ أم أن تحليله للعالم كله - طبقاً لمنهجه في « الرسالة » يحتاج إلى مقدمة يمهد بها لتحليل اللغة ؟ من المرجح أن الأمر على ذلك النحو ، اذ أن تحليل اللغة بالطريقة التي ذهب إليها في « رسالته » إنما يعتمد اعتماداً أساسياً على تحليل العالم . فهو يحلل اللغة إلى مجموعة من القضايا الأولية التي يتوقف صدقها أو كذبها على مدى مطابقتها الواقع الخارجي .

والقضية الأولية عند فتجلشتين ليست إلا وصفاً أو رسماً لواقعة من الواقع ، وعلى ذلك فمن الضروري وجود الواقع أولاً التي

(٢١) لدفيج فتجلشتين : « رسالة منطقية فلسفية » - الترجمة العربية ، عبارة رقم ٤٥ - صفحة ١٠٠ .

(٢٢) المرجع السابق ، عبارة رقم ١١١ - صفحة ٦٣ .

(٢٣) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٠٤ - صفحة ٦٧ .

(٢٤) المرجع السابق ، عبارة رقم ١١٣ - صفحة ٦٣ .

(٢٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٦٥ - صفحة ١٣٨ .

(٢٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٣ - صفحة ٦٧ .

(٢٧) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٠٦ - صفحة ٦٧ .

(Tatsachen) Facts منها العالم باسم الواقع « فالعالم هو مجموع الواقع لا الأشياء » (٢٠)، ومن ثم فالواقعية هي الوحدة الاولى التي ينتهي إليها تحليل العالم عنده . وتجنثين متفق في هذا التحليل مع كثير من الفلاسفة المعاصرین مثل برتراند رسل وتشارلز بيرس (٢١) ، فرسل كان يرى أن العالم لا يتكون من مجموعة من الأشياء بقدر ما يتكون من مجموعة من الواقع، وهو في هذا يقول « أن أول ما أرحب في تأكيده هو أن العالم الخارجي - أي العالم الذي نرمي إلى معرفته - لا يمكن وصفه وصفاً كاملاً بواسطة مجموعة من الأشياء المفردة ، بل يجب أن ندخل في اعتبارنا أيضاً هذه الأشياء التي اسمينا بالواقع » وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه بيرس في قوله « ان الواقع يتعلق أولياً بالواقع ولا يتعلق بالأشياء الا من حيث هي عناصر هذه الواقع » (٢٢) .

ولقد فقد بعض المعاصررين (٤٢) ذلك التصور الذي يحلل به فتنجشتين العالم الى وقائعاً على أساس أن ذلك التصور يختلف عن وجهة نظر الادراك العادي أو المشترك Common sense بالنسبة لبنية العالم . اذ أن نظرة الادراك العادي في هذا الصدد تتلخص في أن العالم إنما يتكون من جملة الأشياء الموجودة فيه لو استطعنا أن نحصيها . والواقع أن هذا الاختلاف بين معنى العالم عند فتنجشتين ، وبين معناه بالنسبة للفهم العادي أو المشترك

العالم يتكون من وجود و عدم وجود الوائع الذرية . أى أنه لا يكون العالم الفعلى فقط ، بل هو كذلك العالم الفعلى والعالم الممكن أيضاً .

الا ان فتجنستين لا يوحد توحيداً تاماً بين العالم (welt) وبين الوجود الخارجي reality على النحو سالف الذكر ، اذ هو يفرق بينهما على أساس ان (العالم هو مجتمع الواقع الذري) ، أما الوجود الخارجي فيتكون من (وجود وعدم وجود الواقع الذري) ، وبالتالي يصبح العالم هو العالم الفعلى أما الوجود فيصبح هو جملة العالم الفعلى والعالم الممكن معاً .

والواقع أنه ليس هناك تناقض بين المعنيين بل اختلاف في استخدام الألفاظ في أكثر من سياق وهذه احدى الصعوبات البالغة التي تتبدى في فلسفة فتنجشتين الاولى المتمثلة في «رسالته» الامر الذي جعل بعض الفاظه وعباراته غامضة وبهمة ، وفتح بالاتالي المجال أمام امكان تفسيرها تفسيرات مختلفة متعددة .
٢٤١

ويبدأ فتجنستين تحليله للعالم بتعريفه
فيقول «ان العالم هو جمیع ما هنالك» (٢٩)،
بمعنى أن كل ما هو موجود يدخل في تكوینه،
وعلى ذلك فالعالَم عنده مركب وليس بسيطًا،
وهو في هذا متفق مع ما يذهب اليه فلاسفة
مذهب الكثرة أو التعدد.

ويسمى فتحنستين تلك الأجزاء التي يتكون

¹ Blanshard, B.: Reason and Analysis, P. 197.

(۱۸)

٢٩) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ١ - صفحة ٦٣ .

^{٣٠}) المراجع السابق ، عبارة رقم ١١ ، صفحة ٦٣ .

(٤١) C. S. Peirce (١٨٣٩ - ١٩١٤) فيلسوف أمريكي ومؤسس الفلسفة البراجماتية المعاصرة ، انظر بحثنا بعنوان «المنطق الصحيح لشارلز بيرس» بمحللة تراث الإنسانية - القاهرة - مايو ١٩٦٩ .

(٣٢) د. عزمي اسلام : « لدیع فتنجشتن » : صفحه ٨٧ .

Stenius, E. : Wittgensteins Tractatus, P. 18.

(۱۳)

وهكذا ينتهي فتجمشتين من تحليل الواقع الى أبسط أنواعها ، اي الواقع الذريّة ، وهي تتسم عنده بعده سمات يمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

١ - ان الواقع الذريّة أبسط ما يمكن ان ينحل اليه الوجود الخارجي او العالم . بمعنى اتنا لو استمررنا في تحليل العالم ، لوجدناه مركباً من وقائع مركبة ، وهذه اذا حللناها فقد جدّها مكونة من وقائع افل تركيباً ، حتى ننتهي أخيراً الى الواقع بسيطة لا يمكن ان تنحل الى الواقع أبسط منها هي الواقع الذريّة . فإذا قلت مثلاً « القلم علسي يمین الكتاب وهو كتاب في المنطق جاء هذا القول معبراً عن واقعة مركبة تتكون من وجود القلم على يمین الكتاب ، ومن اتصاف الكتاب في الوقت نفسه بصفة معينة هي أنه كتاب في المنطق . ولذا فهي يمكن أن تتكون من واقعتين بسيطتين هما : ١ - « القلم على يمین الكتاب » ٢ - و « الكتاب كتاب في المنطق » (٣٧) .

٢ - على الرغم من كون الواقع الذريّة أبسط وحدات ينتهي اليها تحليل العالم ، الا أنها في حد ذاتها تتضمن فعلاً أجزاء ، اي أنها مما يقبل التحليل . وليس في هذا تناقض . فالواقع الذريّة بسيطة بوصفها أبسط مستوى من الواقع يمكن أن ينتهي اليه تحليلنا للعالم ، وهي مركبة بمعنى أنها تتكون من أشياء او بسائط ، وهو في هذا يقول « ان الواقع الذريّة هي مجموعة موضوعات » (موجودات او أشياء) (٣٨) .

لكن الأشياء عند فتجمشتين ليس لها وجود

ليس اختلافاً جذرياً . بل انه يزول اذا ما اعتبرنا أن الأشياء things هي الأساس بالنسبة لتصور كل من وجهتي النظر السى العالم . لأن الواقع عند فتجمشتين ، ولو انها هي الوحدات الأولى التي ينتهي اليها تحليلنا للعالم ، الا أنها في نظره ليست بسيطة بل مركبة من أشياء - بحيث تعتبر الأشياء عند هى جوهر العالم (٣٩) .

★ ★ *

ثانياً : تحليل الواقع عند فتجمشتين

لا يكاد فتجمشتين يضع تعريفاً محدداً لمعنى الواقع ، بل أنها عنده مما (لا يمكن تعريفها على وجه الدقة ولكن يمكن شرح ما يعنيه بقولنا ان الواقع هي ما يجعل الفضايا صادقة او كاذبة) (٤٠) . وهو يتكلم عن الواقع من زاويتين : الاولى من حيث البساطة والتركيب ، والثانية من حيث الايجاب والسلب .

أ - من حيث البساطة والتركيب : الواقع عند فتجمشتين : اما مركبة تتكون هي نفسها من وقائع اخرى أبسط منها ، اي تحتوي على أجزاء هي نفسها وقائع . وفتجمشتين لا يعطي الواقع التي تكون من هذا النوع اسماً خاصاً بها ، بل يكتفى باستخدام الكلمة « واقعة » Fact (Tatsache) او تكون الواقع بسيطة لا تتكون هي نفسها من وقائع اخرى أبسط منها ، اي لا تحتوي على أجزاء هي نفسها وقائع . ويسمى فتجمشتين الواقع التي تكون من هذا النوع باسم الواقع المفردة او الواقع الذريّة (Sachverhalt) atomic fact (٤١) .

(٤٤) د ، عزمي اسلام : « لدقيق فتجمشتين » ، صفحه ٨٨ .

(٤٥) من مقدمة برتراند رسل لرسالة فتجمشتين المنطقية الفلسفية . انظر ترجمتنا العربية صفحة ٣٧ .

(٤٦) انظر في ترجمة هذا النفق بشيء من التفصيل ، كتابنا « لدقيق فتجمشتين » ، صفحه ٩٢ وما بعدها .

(٤٧) المرجع السابق ، صفحه ١٠١ .

(٤٨) رسالة منطقية فلسفية : عبارة رقم ٢٠١ صفحه ٦٣ .

الأشياء في الواقعة الذرية) ، أما صورتها فهي امكان ترابط الأشياء على نحو معين . أى (امكان قيام هذه البنية) . وعلى ذلك فبنية الواقعة الذرية تتغلق بالواقع نفسها وهى قائمة بالفعل ، أما صورتها فتتعلق بالأشياء التي تكون منها الواقعة ، وبإمكان ترابط تلك الأشياء على هذا النحو أو ذاك) (٤٢) .

٦ - الواقع الذري ليست ثابتة بل هي متغيرة ، أما الثابت فهو الأشياء التي تتكون منها هذه الواقع . ويُعبر فتحشتين عن هذا المعنى بقوله ان (الشيء هو الثابت وهو الموجود أما المتحول المتغير فهو البناء المركب من أشياء) ، كما ان (التركيبة التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقع الذري) (٤٣) . ولتوسيح ذلك يمكن القول : لو كانت أمامنا ثلاثة أشياء هي : ١، ب ، ج مرتبة في واقعة ذرية على النحو الآتي : (ب بين ١ ، ج) ، فان هذه الواقع الذري يمكن أن تتغير بتغير العلاقة الموجودة بين العناصر التي تكونها فتصبح مثلاً (١ بين ب ، ج) وتكون هذه واقعة ذرية جديدة غير الواقع الذري الأولى . وقد تتغير هذه الواقع الجديدة فتصبح (ج بين ١ ، ب) وهي واقعة ذرية أخرى تختلف عن الواقعين السابقتين . وهكذا ظلت ١، ب ، ج ثابتة ، بينما تغيرت الواقع الذري بتغير الروابط بين هذه العناصر الثابتة .

ب - من حيث السلب والإيجاب : إن الواقع الذري عند فتحشتين ، أما أن تكون موجبة فتمثل ترابط الأشياء على نحو معين في الواقع الخارجي أو سالبة لا تمثل النحو الذي توجد عليه الأشياء في الواقع .

مستقل عن وجود الواقع التي تدخل في تكوينها أذ (من جوهر الشيء أن يكون مكوناً ممكناً لواقع ذرية ما) ، وبالتالي فيما لـه وجود هو الواقع لا الأشياء ، وإن كان وجود الواقع معتمداً على وجود الأشياء . ولعل هذا ما يفسر قول فتحشتين بأن « العالم هو مجموع الواقع لا الأشياء » (٤٤) .

٣ - الواقع الذري عند فتحشتين مستقل منفصل بعضها عن بعض (فمن وجود أو عدم وجود واقعة ذرية مالا نستطيع أن نستدل على وجود أو عدم وجود واقعة ذرية أخرى) (٤٥) . فنحن لا نستطيع أن نستدل مثلاً عن وجود واقعة ذرية ما ، ولتكن « ق » (القلم أزرق) على وجود الواقع « ل » (القلم على يمين الكتاب) أو عدم وجود الواقع « م » (القلم بين الكتاب والمحبرة) ، فليست هناك ضرورة منطقية ولا واقعية تستلزم وجود « ل » أو عدم وجود « م » بناء على وجود « ق » .

٤ - إنها تتكون من أشياء مرتبطة بعلاقات ، لا من مجرد مجموعة من الأشياء ، وفي هذا الصدد يقول فتحشتين ان (التركيبة التي قوامها أشياء هي التي تشكل الواقع الذري) ، (ففي الواقع الذري تتشابك الأشياء أحدها بالآخر ك حلقات السلسلة) أو (ترتبط بعضها بعض على نحو محدد) (٤٦) .

٥ - الواقع الذري عند فتحشتين لها بنية *Struktur* ولها صورة *Form* . أما بيتهما فهي (الطريقة التي تتشابك بها

(٣٩) المرجع السابق - عبارة رقم ١١ - صفحة ٦٣ .

(٤٠) المرجع السابق - عبارة رقم ٢٠٦٢ - صفحة ٦٧ .

(٤١) المرجع السابق - عبارة رقم ٢٠٤١ - صفحة ٦٧ .

(٤٢) ارجع إلى مزيد من التفصيل في هذه النقطة إلى كتابنا « الدليل فتحشتين » صفحة ١٠٤ .

(٤٣) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٢٠٣ - صفحة ٦٦ .

منفصلان . وهذا يعني أن القول بعدم وجود وجود ق ٣ يتم صدق قولنا عن العالم ، أى يتم ويكمel صدق قولنا بوجود ق ١ ، ق ٢ .

★ ★ *

ثالثاً : تحليل الأشياء

الأشياء بالنسبة لفتحنستين هي أقصى ما تصل إليه عملية التحليل ، وان لم تكن هى عنده المكونات المباشرة التي يتكون منها العالم ، بل هي المكونات التي تتكون منها الواقعية ، والواقع هي التي يتكون منها العالم . والأشياء تتسم عند فتحنستين بعده سمات ، أهمها :

١ - أنها المفردات أو البساطة التي لا يمكن أن تنحل إلى ما هو أبسط منها ، وهو في هذا يقول (الشيء بسيط) (٤٥) .

٢ - أنها المكونات الأساسية التي تتكون منها الواقعية الذرية اذ (من جوهر الشيء أن يكون مكوناً ممكناً لواقعية ذرية ما) . فالشيء الذي يكون شيئاً لا بد أن يكون من الممكن دخوله في واقعية ذرية ما (وكما لا نستطيع تخيل الأشياء المكانية خارج المكان ولا الأشياء الرمائية خارج الزمان ، فذلك لا نستطيع أن نتخيل شيئاً ما معزولاً عن امكان ارتباطه باشياء أخرى . فإذا استطعت أن أتصور شيئاً ما داخلاً في تكوين واقعية ذرية ، فلن أستطيع بعدئذ أن أتصوره مستقلاً عن امكان وجود هذا التكوين) (٤٦) . وكما سمي فتحنستين من قبل امكان قيام الواقعية باسم صورة الواقعية ، فهو كذلك يسمى امكان دخول الشيء في تكوين واقعية باسم صورة الشيء .

٣ - والأشياء عند فتحنستين ثابتة ،

أى أن الواقعية الموجبة هي الواقعية الذرية المتحققة أو الموجودة بالفعل ، أما الواقعية الذرية السالبة فهي غير موجودة . وهو في هذا الصدد يقول ان (وجود الواقع الذري أيضاً يسمى بالواقعية الموجبة ، وعدم وجودها يسمى بالواقعية السالبة) (٤٤) .

ولتوسيح ذلك نفترض أن العالم كله يحتوى على ثلاثة بساطات أو أشياء هي أ، ب، ج نسميتها على التوالى : ل، م، ن . في هذه الحالة يمكننا أن تكون القضايا الذرية التالية :

١ - (ل م) ، بحيث تشير إلى الواقعية الذرية المكونة من (أ ، ب) ، ولنرمز لها بالرمز ق ١ .

٢ - (م ن) ، بحيث تشير إلى الواقعية الذرية المكونة من (ب ، ج) ، ولنرمز لها بالرمز ق ٢ .

٣ - (ل ن) ، بحيث تشير إلى الواقعية الذرية المكونة من (أ ، ج) ، ولنرمز لها بالرمز ق ٣ .

ولنفرض الآن أن القضية م بين الاولين (ل م) ، (م ن) فقط صادقتان ، أما القضية الأخيرة (ل ن) فهي كاذبة وبالتالي يكون نفيها صحيحاً أى « - (ل ن) » ، في هذه الحالة سيكون العالم مكوناً من واقعيتين ذريتين فقط هما ق ١ ، ق ٢ بحيث يعبر اتصالهما معاً عن الصدق الموجود في العالم . لكن فتحنستين يرى أن وجود الواقعتين الموجبتين ق ١ ق ٢ لا يستنفد كل الصدق الموجود في العالم ، لأنه من الصدق أيضاً القول بأن : « - (ل ن) » ، أى أن نقول بأن ق ٣ غير موجودة . أى أن (ل) ، (ج) لا يرتبطان بعلاقة ما ، بل هما

(٤٤) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢٠٦ - صفحة ٦٧.

(٤٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢٠٢ - صفحة ٦٥.

(٤٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢١٢١ - صفحة ٦٤.

بصفات معينة وهي على حدة ، بل لا بد من دخولها في تكوين واقعة من الواقع حتى يمكن الحديث عنها ووصفها بكلها وكذا . ولعل هذا يفسر قول فِي تُجْنِشْتِين في كتابه «المذكرات» (باننا لا نعرف الاشياء البسيطة معرفة مباشرة) (٥١) .

رابعاً : تحليل اللغة

كان تحليل اللغة هو الهدف الأساسي من فلسفة فِي تُجْنِشْتِين بصفة عامة ، فهو يقول في مقدمة كتابه «الرسالة المنطقية الفلسفية» عن هذا الكتاب «انه كتاب يعالج مشكلات الفلسفة ، ويوضح - فيما اعتقاد - أن الذي دعا الى اثارة هذه المشكلات هو أن منطق لفتنا يساء فهمه . ويمكن ان تلخص معنى الكتاب كله على نحو قريب مما يلي : أن ما يمكن قوله على الاطلاق، يمكن قوله بوضوح ، وأما مالا نستطيع أن نتحدث عنه ، فلا بد أن نصمت عنه . وعلى ذلك فالكتاب يستهدف اقامة حد للتفكير ، أو هو على الأصح لا يستهدف اقامة حد للتفكير، بل للتعبير عن الأفكار . ولذا فان هذا الحد يمكن أن يوضع فقط بالنسبة للفة ، أما ما يكون في الجانب الآخر من هذا الحد ، فسيعيد ببساطة شيئاً لا معنى له) (٥٢) .

أى أن فِي تُجْنِشْتِين يهدف من وراء تحليل اللغة الى معرفة الحدود التي يجب أن تستخدم فيها بطريقة ذات معنى ، والا كانت لفتنا مجرد لغو لا معنى له . وقد حاول أن يطبق

فالشيء (هو الثابت وهو الموجود) ، أما ما يتغير ويتحول فهو الواقع .

٤- ويترتب على ذلك أن تكون الأشياء باقية إلى الأبد everlasting خالدة immortal لأنها بسيطة لا تنقسم إلى الأجزاء ، وما ينقسم إلى أجزاء هو ما يمكن فساده ، أما ما لا ينقسم فهو باق على حاله ثابت لا يتغير أو يزول (٤٧) .

٥- وحيث أن الأشياء ثابتة باقية خالدة بسيطة لا تنقسم ، وبما أنها هي مكونات الواقع الذري ، وبما أن الواقع الذري هي مكونات العالم ، فإنه يلزم عن ذلك أن تكون الأشياء هي الأساس الأول الذي يقوم عليه العالم ، أو هي كما عبر فِي تُجْنِشْتِين « تكون جوهر العالم » (٤٨) .

٦- ان الأشياء عند فِي تُجْنِشْتِين ، تكونها بسيطة غاية البساطة ، فهي لا تتصرف - وحدتها - بأية صفة من الصفات التي يمكن ملاحظتها ، إنما تتصف بهذه الصفة أو تلك أثناء وجودها في واقعة ما ، لأن الصفات المادية (تنشأ أول ما تنشأ نتيجة لتشكيل الأشياء) (٤٩) في الواقعة .

وبما أن امكان دخول الشيء في واقعة ما ، (لا بد أن يكون كامناً في طبيعة الشيء ذاته) ، فإن معنى ذلك أن اتصاف الشيء بصفة معينة يكون أمراً كامناً في طبيعته . وهذا ما جعل فِي تُجْنِشْتِين يصرح بأن «الأشياء لاون لها» (٥٠) ، بمعنى أنها عارية عن الصفات وليس بمعنى أنها عديمة اللون فقط ، بحيث لا تتصرف

Pitcher, G. : The Philosophy of Wittgenstein, 123.

(٤٧)

(٤٨) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٢٠٢١ - صفحة ٦٥ .

(٤٩) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢٠٢١ - صفحة ٦٦ .

(٥٠) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢٠٢٢ - صفحة ٦٦ .

Wittgenstein, L : Notebooks, P. 50.

(٥١)

(٥٢) من مقدمة فِي تُجْنِشْتِين «للرسالة» - الترجمة العربية صفحة ٥٩ .

ذلك بقوله (هكذا ينشأ بسهولة أهم أنواع الخلط الفكري الذي تمتليء به الفلسفة كلها)، ومن ثم فاننا « لكي نتحاشى هذه الأخطاء؛ علينا أن نستخدم جهازاً من الرموز يستبعدها، ويكون ذلك بعدم استخدامنا العلامة (أى اللفظ) الواحدة في رموز مختلفة ، وبعدم استخدامنا للعلامات بطريقة واحدة فحين أنها تكون ذات دلالات مختلفة . اعني أن جهازنا الرمزي الذي ينبغي استخدامه ، لا بد له أن يساير قواعد التركيب المنطقى » (٥٥) .

٢ - الخلط بين التصورات الصورية وبين تصوراتنا عن الأعلام ، ذلك الخلط الذي (كان يملأ المنطق القديم كله) (٥٦) والذي طالما أدى إلى كثير من المشكلات في الفلسفة وخاصة الميتافيزيقا . وذلك راجع عنده إلى عدم التفرقة أو التمييز بين التصور الصوري (أى التصور الكلى) وبين تصورنا عن اسم العلم ، أى بين المعنى الكلى واللفظ الذى نعبر به عنه من جهة ، وبين الأسماء التى تشير مباشرة إلى أشياء مفردة في الواقع الخارجي من جهة أخرى ، فنظن أن الاثنين متشابهان في الدلالة ونصف كلاً منها بما نصف به الآخر ، أو نضع كلاً منها في نفس السياق الذى نضع فيه الآخر متصورين أنه طالما كان أحدهما ذا معنى في سياق ما ، فسيكون للأخر كذلك معنى إذا وضع في السياق نفسه أو في سياق آخر مشابه . فإذا قلت أن محمدًا موجود وان عليًا موجود ، أقول كذلك ان الإنسان موجود ، فأضاف التصور الكلى « إنسان » بما وصفت به الأفراد التي تنتمي إليه . ومن ثم يبدأ الفيلسوف البحث عن ذلك الإنسان الكلى ، فان لم يوجد في هذا العالم ، ببحث عنه في عالم آخر مثل عالم المثل عند أفلاطون .

فتجنثتين ذلك بالنسبة لعبارات اللغة التي تصاغ فيها المشكلات الفلسفية بعامية والميتافيزيقية بخاصة وانتهى إلى (ان معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة ، بل هي خالية من المعنى ، فلسنا نستطيع اذن أن نجيب عن أسئلة من هذا القبيل ، وكل ما يسعنا هو أن قرر عنها أنها خالية من المعنى ، فمعظم الأسئلة والقضايا التي يقولها فلاسفة إنما تنشأ عن حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا ... واذن فلا عجب اذا عرفنا أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق) (٥٧) . وهكذا تصبيع الفلسفة كلها عنده مجرد نقد أو تحليل للغة .

ويفسر فتجنثين كيفية نشأة القضايا الميتافيزيقية عن سوء فهم منطق اللغة ، الذي يرده إلى عدة عوامل ، أهمها عنده :

١ - الخلط بين الصورة المنطقية الظاهرة للقضايا وبين صورتها الحقيقة ، وهو يشرح ذلك بالمثال التالي : (غالباً ما يحدث في لغة الحياة اليومية أن نجد الكلمة الواحدة نفسها تكون ذات معنيين مختلفين ... أو أن نجد كلمتين لكل منهما دلالة مختلفة عن الأخرى ومع ذلك فهما مستخدمان بشكل واضح بطريقة واحدة معينة في القضية . مثال ذلك أن ترد كلمة « يكون » في القضية على أنها الرابطة (بين الموضوع والمحمول) كما قد ترد علامة للتساوي ، وكذلك قد ترد تعبيراً عن الوجود ... ففي القضية « الأخضر أحضر » حيث تكون الكلمة الأولى اسم علم ، والثانية صفة ، فها هنا لا يقتصر الأمر على أن يكون للكلمتين معنيان مختلفان ، بل انها كذلك رمزان مختلفان (٥٨) . ويعقب فتجنثين على

(٥٣) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٤٠٠٣ - صفحة ٨٣ .

(٥٤) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٣٢٣ - صفحة ٧٨ .

(٥٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٣٢٥ - صفحة ٧٨ .

(٥٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ١٢٦ - صفحة ٩٥ .

شيئاً آخر ، بل هما الاثنان عنده شيء واحد ، أو بتعبير آخر هما وجهان مختلفان لعملة واحدة . وهو في هذا يقول : (ان اللغة هي مجموع القضايا) ، والقضايا أفكار في الذهن (فالتفكير هو القضية ذات المعنى)^(٥٩) كما أن الفاظ القضية هي (فكرة حين نطبقها ونحلل مضمونها) . ولقد أكد فتحشتين هذا المعنى في فلسفته المتأخرة المتمثلة في كتابه « أبحاث فلسفية » برفضه النظرية التقليدية في الفلسفة التي يزعم دعاتها أن هناك فصلاً بين الفكر وبين اللغة ، بحيث توجد الفكرة في الذهن أولاً ثم تعبر عنها بعد ذلك بالألفاظ المناسبة . فاللغة عند فتحشتين ليست بعديمة بل هي متآنية متزامنة مع الفكر ، ومن ثم فلا وجود لعمليات عقلية مستقلة أو منفصلة عن سلوكنا الفوقي الفعلى أو وراء هذا السلوك ، وأن العملية العقلية هي ذلك السلوك أو أنها تتكون منه . وفي هذا الصدد يقول فتحشتين (أن التفكير ليس عملية غير جسمية تؤدي إلى الكلام أو تنفصل عنه)^(٦٠) بل إنها أشبه ما تكون بظل الإنسان الذي لا ينفصل عنه .

اللغة عند فتحشتين في فلسفته الاولى وظيفة تختلف عن وظيفتها في فلسفته المتأخرة . فوظيفتها في فلسفته الاولى هي تصوير أو رسم الواقع الخارجي ، وهو في هذا يقول (أن القضية رسم للوجود الخارجي) ، هي نموذج للوجود الخارجي على النحو الذي نعتقد أنه عليه^(٦١) ويفسر ذلك بقوله : (ان كل اسم واحد يقابل شيء واحد) ، والاسم الآخر يقابل شيء آخر ، ثم تربط هذه

٣ - الخلط بين ما يمكن قوله وبين ما لا يمكن قوله بل اظهاره فقط ، والا تجاوزنا حدود اللغة ذات المعنى . ويمثل فتحشتين لذلك بأمثلة عديدة أهمها : استحالة التعبير عن صورة التمثيل بين القضية وبين الواقعية التي تمثلها تلك القضية . فقد ذهب فتحشتين إلى ضرورة وجود شيء من الهوية بين الرسم (أي القضية) وبين المرسوم (أي الواقع) ، حتى يتسعني لأحدهما أن يكون رسمماً للأخر بأي معنى من المعاني . وهو في هذا الصدد يقول أن (الذي لا بد أن يكون في الرسم ، مشتركاً بينه وبين الوجود الخارجي لكي يتسعني له أن يمثله .. هو صورة ذلك التمثيل) ، (ومع ذلك فالرسم لا يستطيع أن يمثل ما فيه من صورة للتمثيل ، إنما يعرضه) لأن الرسم (لا يستطيع أن يضع نفسه خارج الصورة التي يؤدي بها عملية التمثيل)^(٥٧) . وبعبارة أخرى فإن الصورة المنطقية المشتركة بين بنية القضية وبين بنية الواقعية التي تمثلها لا يمكن أن تكون في ذاتها شيئاً يقال في اللغة . فالقضايا « لا تستطيع أن تمثل الصورة المنطقية : إنما تعكس هذه الصورة نفسها في القضايا . وما يعكس نفسه في اللغة ، لا تستطيع اللغة أن تمثله وما يعبر عن نفسه (بنفسه) في اللغة بالتجلي ، لا تستطيع نحن أن نعبر عنه بواسطة تلك اللغة »^(٥٨) .

ان المعنى الأساسي الذي نجده للغة في فلسفة فتحشتين بصفة عامة هو أنها مرتبطة بالتفكير أو هي الفكر . فهو لا يفصل بينهما على نحو يجعل من أحدهما شيئاً ، ومن الآخر

(٥٧) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤١٧٤ - صفحة ٦٩ .

(٥٨) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤١٢١ - صفحة ٩٣ .

(٥٩) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤ - صفحة ٨٢ .

(٦٠)

(٦١) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٤٠١ - صفحة ٨٤ .

مجموع القضايا) . والقضية هي المعنى الذي ينفهم من العبارة أو الجملة اللغوية ، التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب . ولقد تناول فتجلشتين القضايا في « رسالته » بالتحليل من أكثر من زاوية لكنه لم يعرض مثل ذلك في فلسفته المتأخرة لأن تناوله لها كان مختلفاً . هذا ويمكن تصنيف القضايا عند فتجلشتين طبقاً لتحليلاته المختلفة على النحو الآتي :

(أ) تطبيق القضايا من حيث الكم :

أى تطبيقها طبقاً لعدد الماصدقات التي يصدق عليها الحكم الموجود في القضية . والماصدقات بالنسبة لفتجلشتين ليست أشياء أو مفردات ، بل هي وقائع مكونة من أشياء طالما أن الأشياء عنده لا توجد وجوداً مستقلأً في العالم الخارجي ، بقدر ما توجد وهي متراقبة في وقائع معينة . ولذا يمكننا أن نقسم القضايا من حيث الكم عنده إلى نوعين رئيسيين هما :

١ - قضايا تتعلق كل منها بواقعة ذرية واحدة فقط ، مثل القول : (سocrates مفك) أو (القلم على يمين الكتاب) ويسمى بها فتجلشتين بالقضايا الأولية Elementarsätze ويسمىها « رسول » باسم القضايا الذرية atomic propositions بوصفها مناظرة للواقع الذري التي ترسمها هذه القضايا . وهذا النوع من القضايا هو الذي يمكن مقارنته بالوجود الخارجي مباشرة ، وبالتالي يتوقف صدقها أو كذبها على مدى تصويرها لحالة الأشياء في الواقع الذري التي تقارن بها .

٢ - قضايا لا تتعلق كل منها بواقعة ذرية واحدة ، بل أكثر - وهي عنده على نوعين :

الأسماء بعضها ببعض بحيث يجيء الكل بمثابة رسم واحد يمثل الواقعية الذرية) ، وعلى ذلك (فالوجود يقارن بالقضية) ، بمعنى أن (القضية يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة بكونها رسوماً للوجود الخارجي) أى باعتبارها (وصفاً لواقعة من الواقع) (٦٢) التي ينحل إليها العالم ، والواقع ان فكرة فتجلشتين عن اللغة من حيث هي رسم أو تصوير للوجود الخارجي - أو ما يسمى بنظريته التصويرية للغة - كانت متفقة تماماً وفكرة عن التوازي الذي يجب أن يتحقق بين اللغة من جانب وبين العالم الخارجي من جانب آخر . فكما أن العالم ينحل إلى وقائع ، وكذلك اللغة تنحل إلى قضايا . وكما أن الواقع تنحل إلى وقائع ذرية ، وكذلك القضية تنحل إلى قضايا أولية . وكما أن الواقع الذري تتكون من أشياء بسيطة لا يمكن تحليلها بل تسميتها فقط ، وكذلك تكون القضايا الأولية من أسماء بسيطة لا يمكن تعريفها بغيرها ، بل هي تشير مباشرة إلى أشياء . لكن فتجلشتين تخلي عن نظريته التصويرية للغة بعد ذلك حين تخلي عن نظريته الذرية النطقية .

أما وظيفة اللغة في فلسفة فتجلشتين المتأخرة ، فلم تعد هي تصوير العالم أو تمثيل وقائعه ، بل أصبحت هي وسيلة التفاهم مع الآخرين بطريقة ذات معنى ، والتاثير فيهم ، على نحو يساعد على سرعة الفهم و يؤدي إلى زيادة في المشكلات المترتبة على سوء فهم منطقها .

★ ★ ★

خامساً - تحليل القضايا :

يدعى فتجلشتين إلى أننا نعبر عن أنفسنا بواسطة القضايا ، ولذا فاللغة عنده (هي

(٦٢) المرجع السابق، عبارة رقم ٢٣، ص ٨٦.

(ق . ل)		ل	ق
ص		ص	ص
ك		ك	ص
ك		ك	ك
ك		ك	ك

(ص تعني أن القضية صادقة)
(ك تعني أن القضية كاذبة)

ما سبق يتضح أن القضايا الأولية عند ثجثجثين هي الأساس الأول الذي تقيم عليه كل تعرف للصدق أو الكذب في كافة قضايانا . ولذا فهي التي يركز عليها ثجثجثين ويحللها بشيء من التفصيل أكثر من غيرها .

والقضايا الأولية عند ثجثجثين تتسم بعدة

سمات أهمها :

١ - ان القضية الأولية عنده هي آخر وأبسط ما نصل اليه من تحليل اللغة ، ومع ذلك فهى تكون من أجزاء . لكن هذه الأجزاء ليست قضايا انباهي أسماء . والأسماء عنده لا معنى لها ، لكن لها دلالة Bedeutung تشير مباشرة الى الاشياء الموجودة في العالم الخارجي . فإذا ترابطت هذه الأسماء في وحدة لغوية بسيطة (أى في قضية أولية) أصبح لهذه الوحدة الأولية معنى . وهو في هذا يقول : (ليس لشيء معنى الا القضية) ، فلا يمكن لاسم معناه ، الا وهو في سياق قضية ما)^(٦٤)، وعلى ذلك يمكن القول بأن القضية الأولية عند ثجثجثين ، هي الوحدة الأولى ذات المعنى التي يمكن أن تنحل اليها اللغة .

٢ - ان القضايا الأولية ثبتت عند ثجثجثين وجود الواقع الذري ، وهو في هذا يقول (ان ابسط قضية ، اي القضية

قضايا مركبة (composite) Zusammengesetzte ويسميها رسول باسم molecular ، وتحدث عما هو مركب من واقعتين او أكثر . أو بعبارة أخرى ، هي التي تتكون من قضيتين أوليتين أو أكثر مثل : (سocrates حكيم وأفلاطون تلميذه) ، او مثل (القلم على يمين الكتاب وهو قلمي) .

قضايا التعميم (general) Allgemeine أو القضايا الكلية مثل (الإنسان مفك) . وعلى الرغم مما بين هذين النوعين من القضايا من اختلاف الا انهما يتشابهان (فالقضية التامة التعميم تشبه كل قضية مركبة اخرى)^(٦٣) ، على نحو يبرر جمعهما في فئة واحدة عنده هي فئة القضايا التي لا تتكلم عن واقعة ذرية واحدة .

والواقع ان مثل هذه القضايا عند ثجثجثين ليست في حقيقتها قضايا ، بل هي اقرب الى دلالات الصدق ، اي (دلالات صدق للقضايا الأولية) بمعنى ان مثل هذه القضايا لا تكون صادقة او كاذبة على حدة ، بل ان صدقها او كذبها انما يتوقف على صدق او كذب القضية الأولية المكونة منها . وهكذا فإن علينا في كل مرة نحاول فيها معرفة صدق دالة قضية ، ان نلجأ الى تحليلها الى القضايا الأولية التي تتكون منها أولاً ، وبناء على معرفة امكانات صدق هذه القضايا الأولية يمكن ان نحكم على مدى صدقها او كذبها . ولنأخذ مثلاً لذلك دالة الصدق التالية : (ق، ل) التي تبين أنها لا تصدق الا في حالة واحدة فقط ، هي التي تكون فيها كل من « ق » ، « ل » صادقة وهذا ما يتضح من الجدول التالي :

(٦٣) المرجع السابق ، عبارة رقم ٥٢٦١ - صفحة ١٣٠ .

(٦٤) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٤٣ - صفحة ٧٥ .

للقضايا الأولية) (١٩) . فبناء على صدق أو كذب « ق » ، « ل » مثلاً يمكننا أن نعرف صدق أو كذب الدالة (ق ٧ ل) (٢٠) . وبهذا تعتبر « ق » وكذا « ل » هي اسس صدق أو كذب تلك الدالة في جميع امكاناتها ، وذلك يتضح من الجدول التالي الذي لا تكذب فيه الدالة الا في حالة واحدة هي كذب « ق » ، « ل » معاً :

ق ٧ ل		ل	ق
ص		ص	ص
ص		ك	ص
ص		ص	ك
ك		ك	ك

(ب) تصنيف القضايا من حيث الصدق والكذب :

والقضايا عند فتنجشتين - من هذه الزاوية - على ثلاثة أنواع :

١ - قضايا تحصيل الحاصل Tautological propositions وهي صادقة بالضرورة ، أي صادقة في جميع الظروف الممكنة ولا يمكن تصورها على أنها كاذبة على الأطلاق . ويمثل لها فتنجشتين بالقضايا المنطقية والقضايا الرياضية ، مثل قضايا الهوية (١ هي ١) أو مثل القضية الرياضية البسيطة التالية (٢ + ٢ = ٤) . وهي عند فتنجشتين تلك القضايا التي لا تقول شيئاً جديداً ، بل تكرر ما تقوله على نحو آخر .

الأولية ، ثبت وجود واقعة ذرية ما) (٢٥) وذلك إذا كانت القضية صادقة . وهذا ما يعبر عنه بقوله (إذا كانت القضية الأولية صادقة ، كانت الواقعة الذرية موجودة ، وإذا كانت كاذبة ، لم يكن للواقعة الذرية وجود) (٢٦) .

٣ - ان جميع القضايا الأولية موجبة وليس سالبة ، حتى انه ليذهب الى القول بأن القضية السالبة ، هي في حقيقتها ليست قضية ، بل دالة ، بمعنى أن صدقها أو كذبها إنما يتوقف على صدق أو كذب التنفيذية الموجبة الأصلية .

٤ - ان جميع القضايا الأولية مستقلة الواحدة منها عن الأخرى منطقياً (فلا تتضمن آية قضية ذرية قضية ذرية أخرى ولا تتناقض معها) . ولذا فكل استدلال منطقي إنما يتعلق بالقضايا غير الذرية) (٢٧) . وهذه نتيجة ضرورية تلزم من القول بأن القضية الأولية تصور الواقعة الذرية وثبت وجودها ، وبما أن الواقع الذري منفصلة مستقلة بعضها عن بعض فكل ذلك تكون القضايا المعتبرة عنها (فلا يمكن الاستدلال على آية قضية أولية ، من قضية أولية أخرى) (٢٨) .

٥ - ان القضايا الأولية هي (المتغيرات التي تخلع الصدق على القضايا) او (التي تعطى الدالات معنها) ، بمعنى أنها هي اسس صدق الدالات ، أي أنها هي التي يتوقف على صدقها أو كذبها ، صدق أو كذب الدالة المتعلقة بها ، طالما أن (القضايا عبارة عن دالات صدق

(٢٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٢١ - صفحة ٩٩.

(٢٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٢٥ - صفحة ١٠٠.

(٢٧) من مقدمة برتراند رسل لرسالة فتنجشتين المنطقية الفلسفية . انظر ترجمتنا العربية صفحة ٣٩ .

(٢٨) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٤١٣ - صفحة ١١٢ .

(٢٩) المرجع السابق ، عبارة رقم ٥ - صفحة ١٠٧ .

(٣٠) أي « ق أو ل » ، وتعني أن تكون « ق » صادقة أو « ل » صادقة أو « ل » معاً صادقتين .

الآن لو كانت لدينا قضية ثلاثة ولتكن هي «م» وأردنا أن نعرف شروط صدقها ، وجب أن نعرف مدى اتفاقها أو اختلافها مع إمكانات صدق القضيتين الاوليين ، أي «ق» ، «ل» ، أي أن نعرف مدى اتفاق أو اختلاف «م» مع كل إمكان من الإمكانات الأربع سالفة الذكر . وهكذا يترتب فتحشتين شروط الصدق الخاصة بالقضايا في مسلسلة واحدة على نحو يجعل في أول المسلسلة جميع الحالات التي تتفق فيها القضايا مع إمكانات صدق القضايا الأولى ، ويجعل في نهاية المسلسلة جميع الحالات التي تختلف فيها القضايا مع إمكانات صدق القضايا الأولى . وهو في هذا الصدد يقول : (ومجموعات شروط الصدق المتعلقة بإمكانات صدق أي عدد من القضايا الأولى يمكن ترتيبها في مسلسلة واحدة)^(٧٢) ثم يستطرد قائلاً (وهناك حالتان متطرفتان من بين مجموعات شروط الصدق : حالة تكون فيها القضية صادقة بالنسبة لكل إمكانات صدق القضايا الأولى ، واثنا بها نقول أن شروط الصدق هي تحصيل حاصل . وفي الحالة الثانية تكون القضية كاذبة بالنسبة لكل إمكانات الصدق ، وبهذا تكون شروط الصدق متناقضة بذاتها . في الحالة الأولى تسمى القضية بقضية تحصيل الحاصل ، وفي الحالة الثانية نسميها بقضية التناقض)^(٧٣) .

فإذا كانت القضية «م» هي القضية القائلة بأن (س هي س) فاننا نلاحظ أنها تصدق بالنسبة لجميع إمكانات صدق «ق» ،

والواقع أن تحليل فتحشتين لهذا النوع من القضايا يربط أساساً بفك ته عن شروط صدق (truth- conditions) Wahreheitsbedingungen القضايا ، وبالتالي بامكانات صدق (truth- possibilities) Wahrheitsmöglichkeiten القضايا الأولية ، لأن (إمكانات صدق القضايا الأولية هي شروط صدق أو كذب القضايا)^(٧١) . لكن (إمكانات صدق القضايا الأولية تعنى إمكانات وجود وعدم وجود الواقع الذري) ، إذن يمكننا أن نستنتج من ذلك أن شروط صدق أو كذب القضايا ، هي نفسها إمكانات وجود وعدم وجود الواقع الذري . ولنضرب لذلك مثلاً يوضح فكرة فتحشتين : لو فرضنا أن لدينا العدد «ن» من الواقع الذري ، كان عدد إمكانات وجود وعدم وجود الواقع هو (٢٦) . فإذا كانت قيمة «ن» هي «٢» ، كان عدد إمكانات الوجود وعدم الوجود هو (٤٢) = ٤ .

ولو أنشأنا عيناً عن الواقع الذري بقضايا أولية ، لحصلنا على قضيتين أوليين ، نفرض أنهما «ق» ، «ل» ، وبالتالي نحصل على إمكانات صدق القضيتين الاوليين ، وعدهما أربعة وهو مساوٍ لعدد إمكانات وجود وعدم وجود الواقع الذري ، وذلك ما يتضح من الجدول التالي :

ق	ل
ص	ص
ك	ص
ص	ك
ك	ك

(٧١) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٤١) - صفحة ١٠٢ .

(٧٢) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٥) - صفحة ١٠٤ .

(٧٣) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٦) - صفحة ١٠٤ .

«ق»، «ل» . وهذا ما يتضح من العمود رقم (٢) في الجدول التالي :

$S = S$	L	Q
ك	ص	ص
ك	ك	ص
ك	ص	ك
ك	ك	ك

(٢)

«ل» ، وهذا ما يتضح من العمود رقم (١) في الجدول التالي :

$S = S$	L	Q
ص	ص	ص
ص	ك	ص
ص	ص	ك
ص	ك	ك

(١)

اما لو أخذنا هذه القضية «م» ولتكن (أخرى ليس هو أخرى) بالنسبة لامكان صدق القضية «ق» (أخرى موجود بالمنزل) فستنجد ان القضية «م» كاذبة دائمًا سواء كانت القضية «ق» صادقة أو كاذبة ، وذلك ما يتضح من الجدول التالي :

Q	$S = S$
ك	ص
ك	ك

٣ - **القضايا التركيبية** : وهي التي يمكن تصورها على أنها صادقة ، كما يمكن تصورها على أنها كاذبة – ويتمثل هذا النوع من القضايا عند فتحنشتين في القضايا العلمية أو التجريبية – ويكون حكمنا على مثل هذه القضايا بالصدق أو بالكذب بناء على مدى تصويرها للواقع الخارجي .

★ ★

تحليل الألفاظ (الأسماء) :

يشكل تحليل الألفاظ مبحثاً رئيسياً وهاماً في فلسفة فتحنشتين بصفة عامة ، وإن كانت طريقة تحليله ايتها مختلفة في فلسفته الأولى عنها في فلسفته التالية .

ولتأخذ لذلك مثلاً قضية واحدة أصلية هي القضية «ق» ، وليكن معناها أن (أخرى موجود بالمنزل) فهذه القضية اما أن تكون صادقة اي يكون أخرى موجوداً بالمنزل فعلاً او أن تكون كاذبة فلا يكون أخرى موجوداً بالمنزل . فإذا ما قالت القضية (ان أخرى هو أخرى) ، جاء هذا القول صادقاً سواء كان أخرى موجوداً بالمنزل (أي في حالة صدق «ق») أو لم يكن موجوداً بالمنزل (أي في حالة كذب «ق») . ويمكن التعبير عن ذلك كما يلي :

Q	$S = S$
ص	ص
ص	ك

٤ - **قضايا التناقض** : وهي قضايا كاذبة بالضرورة ، أي كاذبة في جميع الظروف الممكنة ولا يمكن تصورها صادقة على الاطلاق او هي التي تكون كاذبة دائمًا بالنسبة لجميع امكانات صدق أو كذب القضايا الأولية الخاصة بهما مثل : $A = A$ أو $A \neq A$ هى ب وأيضاً ب) (٧٤) . فان كانت القضية «م» هي القضية القائلة بأن $(S = S)$ ، فاننا نلاحظ أنها تكذب بالنسبة لجميع امكانات صدق

(٧٤) وتقسرا : $(A \neq A)$ ، $(A \neq B \wedge B \neq A)$ ومن ثم فاننا نقرأ $S = S$ بانها : S هي لا S .

والأسماء عند فتحشتين هي علامات بسيطة ، طالما أنها تشير إلى أشياء بسيطة ، وهو في هذا يقول (العلامات البسيطة المستخدمة في القضايا هي التي أدعوها بالأسماء) . كما يعبر عن المعنى نفسه بقوله (أما الاسم فلا يمكن تحليله أكثر من كونه اسمًا بذكر أي تعريف له ، لأنها علامة أولية) (٧٨) .

وكما أن الواقعية المدرية ليست مجرد مجموعة من أشياء ، بل هي عدد من الأشياء مترابطة على نحو معين يمثل بنيتها ، فكذلك القضية الأولية (أو علامة القضية الأولية) ليست مجرد مجموعة مترابطة من الأسماء (بل هي ارتباط أو تسلسل بين أسماء) (٧٩) .

وعلى الرغم من أن الأسماء عند فتحشتين هي أبسط مكونات تتكون منها القضايا ، أنها ليست أبسط مكونات تنحدر إليها اللغة ذات المعنى . ويلزم عما سبق أن الأسماء تكون بلا معنى sense (sin) إنما هي ذات دلالة reference (bedeutung) فقط لأن (الاسم يدل على شيء) ، ودلالة الاسم عند فتحشتين هي تمثيل الاسم لسماته (فالاسم الوارد في القضية يمثل الشيء) ، كما يقول أيضًا في هذا (ولا يسعني إزاء الأشياء إلا أن اسمها ، فيكون لكل منها علامة تمثلها) (٨٠) .

هذا ويفرق فتحشتين بين الاسم بوصفه علامة أولية بسيطة وبين الرمز : على أساس أن الرمز هو أحد أجزاء القضية الذي يعطي لها معنى ، فيقول أن (كل جزء من أجزاء

أ — فهو في فلسفته الأولى يرى أن القضايا يتم التعبير عنها بالفاظ أو كلمات هي ما يسمى بعلامة القضية (ففي القضية يجاء الفكر عبراً عنه في صورة تدركها الحواس) (٧٥) ، (وسامي العلامة التي أخبر بها عن الفكر بعلامة القضية) (٧٦) . وكأنه بذلك يفرق بين القضية من حيث هي المعنى القائم في الذهن الذي نرسم به الواقع الخارجي ، وبين علامة القضية بوصفها القوالب المحسوسة ، أي الألفاظ والكلمات — منطقية أو مكتوبة — التي تعبر بها عن الرسم (أي القضية) .

ولعلمة القضية عند فتحشتين تتكون من عدة علامات بعضها ما نسميه بالأسماء وهي التي تدل على الأشياء (أي الألفاظ الشيئية object-words) ، وبعضها الآخر لا يسمى شيئاً انما تكون وظيفته ربط هذه الأسماء بعضها مع بعض (أي الألفاظ البنائية أو العلاقة) . وهكذا لو كان لدينا القول التالي (القلم على يمين الكتاب) لكان كل من اللفظين « القلم » و « الكتاب » له ما يشير إليه ويسمي في الواقع الخارجي . إنما « على يمين » ليس لها في الواقع الخارجي شيء تصدق عليه أو تشير إليه ، إنما هي تعبير عن العلاقة التي تربط بين الأشياء . وكما أن أساس تكوين الواقع هو الأشياء ، بينما تعتمد بنيتها الواقعية على العلاقات التي تقوم بين الأشياء ، فكذلك الحال في القضية ، أساسها هو الألفاظ الشيئية أي المعبرة عن الأشياء ، أما بنيتها فتتوقف على هذه الألفاظ العلاقة أو البنائية (٧٧) .

(٧٥) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٣٥١ - صفحة ٧١ .

(٧٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٥١٢ - صفحة ٧٢ .

(٧٧) ارجع إلى هذا بالتفصيل في كتابنا « لدغة فتحشتين » ، صفحة ٢٥٩ .

(٧٨) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٣٥٢٦ ، صفحة ٧٥ .

(٧٩) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٥٢٢ ، صفحة ٩٩ .

(٨٠) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٥٢٢١ - صفحة ٧٤ .

لو زال معنی الاسم لما كان هناك اى معنی
لقولنا ان « س قد مات ») (٨٢) .

وهكذا أصبح فتنجشتين يفرق بين معنى الاسم ، وبين المسمى الذي يحمل الاسم ، بعد أن كان يربط بينهما في فلسنته الأولى . اذ أصبح الشيء أو المسمى بالاسم هو ما يقابل الاسم ، ولكنه لا يكون معناه ، لأن معنى الاسم يتحدد وفقاً لشيء آخر غير وجود مسماه ، وذلك هو النحو الذي يستخدم عليه اللفظ او الاسم في اللغة بطريقة ذات معنى .

وهذا يعني ان فتجنستين أصبح لا يفصل
بين معنى اللفظ وبين استخدامه في اللغة
ذات المعنى ، وفي هذا الصدد يقول (ان شرح
معنى الكلمة يكون باظهار كيفية استخدامها) ،
حتى ليشبه فتجنستين الالفاظ والاسماء
حين تجريها ولا تستخدمها بالجث الميتة
فيقول (ان كل علامة تبدو في حد ذاتها كما
لو كانت شيئاً ميئاً لا حياة فيه . وما الذى
يعطى لها الحياة ؟ انها تكون شيئاً حياً اثناء
استخدامها ، فهل دبت الحياة فيها بهذه
الشكل ؟ أم ان الاستخدام نفسه هو —————— و
حياتها ؟) (٨٤)

قضية ما ، يحدد معناها ، ساسميه تعبيراً «أو رمزاً» (٨١) . ولما كنا نعبر عن القضية بواسطة علامات معينة هي الأسماء ، كان معنى الرمز في هذه الحالة أنه بمثابة العلامة أو مجموعة العلامات التي تكون جزءاً من علامة القضية . وعلى ذلك فالرمز يتكون من علامة أو عدة علامات بينما تكون العلامة جزءاً من الرمز . وبما أن العلامة هي الاسم ، اذن فالاسم جزء من الرمز ، أو هو (ذلك الجزء من الرمز الذي يمكن ادراكه بالحواس) .

ب - أما تحليل فتحنشتين في فلسنته المتأخرة للأسماء فيختلف، خاصة بعد أن تخلى عن فكرته عن الذريّة المنطقية وما ترتب عليها من ايجاد توازن بين الأشياء من جهة والأسماء من جهة أخرى . فهو يذهب في كتابه «أبحاث فلسفية » إلى :

انه ليس من الضروري أن يكون لكل اسم مسمى خارجي نشير اليه ونقول هو هذا ، اذ أننا قد نستخدم الاسم أحياناً بدون وجود شيء أو مفرد يحمل هذا الاسم (٨٢) ، ويمثل فتjenشتين لذلك بكلمات مثل « هذا » أو « ذلك » ، ونجد هنا من الالفاظ التي ليس لها ما يقابلها في الوجود الخارجي ، أو التي ليست لها مسميات متحققة تتحققا عيناً . ويضرب لذلك مثلاً من الحياة اليومية فيقول : اذا كان « س » هو اسم شخص معين ، فان معنى ذلك ان هناك فرداً معيناً يصدق عليه هذا الاسم بدون معنى بعد موت حامله ؟ يرى فتjenشتين (أن الانسان يقول ان حامل هذا الاسم قد مات ولكنه لا يقول ان المعنى قد مات ، فمثل هذا القول يكون لغواً . لانه

(٨١) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٤١ - صفحة ٧٥ .

Wittgenstein, L. : *Philosophical Investigations*, Part I, sec., 44, P. 21.

(۸۴)

^{٢٠}) المرجع السابق ، صفحة ٨٣)

^{٨٤}) المرجع السابق ، صفحة ١٢٨ .

تهتم أصلاً باللغة وتحليلها ، فهي وبالتالي كانت مهتمة بمنطق اللغة الذي لو فهمناه ، لكن لفتنا معنى ، والا صادفنا الكثير من المشكلات الناتجة عن سوء الفهم الذي تتجزء بدوره عن جهلنا بمنطق لفتنا . وللمنطق عند فتحشتين معنيان ، أحدهما واسع فضفاض يتصور على أساسه أن كل ما هو منطقى ، هو ما ينبع عن قواعد استخدام أي جهاز رمزي يكىن . أما ثانيةما فضيق محدود يقتصر عنده على نوع واحد معين من الرمزية ، هو الجهاز الرمزي الخاص بالقضايا ، وذلك على أساس أن نظريته في تحصيل الحاصل ، إنما تقوم على أساس من نظريته في دلالات صدق القضايا الأولية .

الآن السمة الأساسية للمنطق عنده - في أي من المعنيين - تمثل في تصوره إيه شيئاً يتعلق أساساً بقواعد الرمزية (أو الجهاز الرمزي الذي يستخدمه) ، لا بالأشياء والواقع التي يتم التعبير عنها بواسطة علامات الرموز . وهكذا يصبح النطق عند فتحشتين بصفة عامة ، هو مجرد استخدام متسلق لمجموعة من الرموز (٨٨) .

ولذا يؤكد فتحشتين أن الرموز المستخدمة في الجهاز المنطقى ، إنما هي رموز اتفاقية ، وهو في هذا الصدد يقول (إن هناك شيئاً اتفاقياً فيما نستخدم من رموز ، إلا أن هذه «الحقيقة» نفسها ليست شيئاً اتفاقياً ، أعني إذا ما حددنا أي شيء بطريقة اتفاقية ، فلا بد إذن من أن تكون هنالك حالة ما) (٨٩) . أى أنه ليس في طبيعة هذه الرموز ما يستلزم

فتحشتين لا يتباهي اللغة بالألعاب فقط ، بل أنها عنده العاب بالفعل ، فنحن حين نستخدم الألفاظ في اللغة إنما نلعب لعبة لغوية بالفعل . لأن فتحشتين لا يقصد بلعبة اللغة طريقة استخدام الألفاظ على نحو آخر فقط ، بل كذلك جميع الأفعال المرتبطة بهذا الاستخدام فيقول (إننا يمكننا أن نسمى كل طريقة لاستخدام الأسماء على نحو معين ، نسميها لعبة من العاب اللغة وسوف أسمى كل ما هو مكون من اللغة والأفعال المرتبطة بها «أى النسيج الكلى المكون من الألفاظ والأفعال» بلعبة اللغة) (٨٥) .

ولما كان تعلمنا استخدام اللغة مرتبطة بكل حياتنا ، كان المقصود من اللغة عند فتحشتين هو إبراز الحقيقة القائلة بأن تكلم اللغة هو جزء من الفاعلية أو هو صورة للحياة . وهو في هذا الصدد يقول (إن تخيلنا لغة ما ، معناه تخيلنا صورة للحياة) (٨٦) .

هكذا يتخلى فتحشتين عن طريقة القديمة في الربط بين الألفاظ والأشياء ، فيقول (فكرة مثلًا في صيحات التعجب التالية : ماء ! بعيداً ! النجدة ! لا ! ، هل مازلت مصرأ على أن هذه الألفاظ «أسماء لأشياء»؟) (٨٧) .

★★★

سادساً - المنطق عند فتحشتين :

يكاد المنطق أن يكون هو المحور الأساسي الذي تدور حوله فلسفة فتحشتين بصفة عامة وتحليلاته . إذ طالما أن فلسفته كانت

(٨٥) المرجع السابق ، صفحة ٥.

(٨٦) المرجع السابق ، صفحة ٨.

(٨٧) المرجع السابق ، صفحة ١٣.

(٨٨)

(٨٩) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٣٤٢ - صفحة ٨١ .

ولأن المنطق صوري عنده فهو (يسبق كل تجربة ، أى يسبق علمنا بأن شيئاً ما هو كذلك) وبالتالي (فالمنطق يجب أن يستقل بذاته) ، وبهذا المعنى فهو أولى وهو أيضاً (شيء متع الحال) وهذا يعني أن العمل الأساسي للمنطق ، هو البحث – على هذا الأساس المجرد – في الصورة المنطقية للقضايا ، وفي بنيتها المنطقية والرموز المستخدمة فيها ، وقواعد استخدامها .

والمنطق عند فتحنستين مرتبط بالفكرة ، كما يرتبط في الوقت نفسه باللغة . فهو يرتبط بالفكرة لأن (الفكر هو الرسم المنطقى للواقع) ، ولذا (فاننا لا نستطيع التفكير في شيء ما تفكيراً غير منطقى والا كان علينا أن نفكر بطريقة غير منطقية) . ولأن المنطق مرتبط بالفكرة ، ولأن الفكر هو اللغة، إذن فالمنطق واللغة مترابنان . وهو في هذا الصدد يقول (لأن نعبر باللغة عن أي شيء يناقش المنطق ، أمر يستحيل استحالاته أن تقدم الهندسة بخطوطها شكلًا هندسياً يناقض قوانين المكان أو أن تقدم احداثيات نقطة ما ليس لها وجود) (٩٤) .

ولقد ترتب على ارتباط المنطق باللغة عند فتحنستين ، وجود علاقة أيضاً بين المنطق والعالم . إذ طالما كان المنطق بمثابة التعبير عن الحدود التي نستخدم فيها الفاظنا ، أو هو حدود ما يمكن قوله ، كانت حدوده هي حدود اللغة .

ولما كانت حدود اللغة عند فتحنستين هي حدود العالم : (ان حدود لفتي هي حدود عالمي) (٩٥) ، كانت حدود المنطق كذلك هي

أن تكون تعبيراً عن هذا الشيء أو ذلك الاجراء . لكن طالما أنا قد اخترنا ، فلا بد وأن نلتزم في استخدامنا لها بالطريقة التي اتفقنا على استخدامها بها (٩٠) .

وهكذا يتعلّق المنطق عند أصله لا بقواعد استخدام الرموز ، وليس بالواقع الخارجي على نحو مباشر . وبذاته يكون المنطق لديه منطقة صورية خالصة (ففي البناء المنطقي لا يجوز أن يشار إلى معنى أي علاقة واردة فيه ، إذ لا بد أن يكون في مستطاعنا إقامة البناء المنطقي دون ذكر معنى أي علامة فيه . وكل ما يطلب افتراضه مسبقاً هو أن تحدد العلامات نطاق استخدام التعبيرات) (٩١) .

وهكذا فنحن (بدون أن نجسم أنفسنا مشقة معرفة المعنى ، تقوم بتكوين القضايا المنطقية من قضايا أخرى بواسطة قواعد استخدام الرموز وحدها . ونحن نبرهن على قضية منطقية ما لأن نستخرجها من قضايا منطقية أخرى بواسطة تطبيق إجراءات معينة بطريقة متتابعة) . وفي هذا الصدد يختلف فتحنستين عن برتراند رسل (فرسيل كان قد قبل – في فلسفته الأولى على الأقل – نظرية العقليين الأفلاطونيين القائلة بأن المنطق يكشف عن بناء العالم الخارجي) (٩٢) . ولقد عبر فتحنستين عن هذا الاختلاف بقوله (إن الخطأ الذي وقع فيه رسل « أبناء عرضه نظريته الخاصة بالأنماط » هو أنه حين أقام قواعد جهازه الرمزي كان يتكلم عن الأشياء التي تصفها علاماته) (٩٣) .

(٩٠) د. عزمي اسلام : « لدغة فتحنستين » ، صفحة ٢٨١ .

(٩١) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٣٤٣٣ - صفحة ٧٩ .

(٩٢)

(٩٣) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٣٤٣١ - صفحة ٧٩ .

(٩٤) المرجع السابق ، عبارة رقم ٣٥٣٢ - صفحة ٧١ .

(٩٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٥٦ - صفحة ١٣٨ .

بأكثر من رفضها تجريبياً . فلا يكفي في قضية المنطق استحالة أن تنقضها أية خبرة ممكنة بل لا بد لها من استحالة أن تؤيدتها أية خبرة ممكنة) (٩٧) .

ولقد كان فتحشتين حريصاً في فلسفته الأولى على توضيح الطريقة المنطقية الصحيحة في التفكير والتعبير اللغوي . أى أن اهتمامه كان منصراً إلى البحث في بنية اللغة من الناحية المنطقية . إلا أن هذا الاهتمام تغير في فلسفته المتأخرة فأصبح منصراً إلى الطريقة التي تستخدم فيها الألفاظ بالفعل في اللغة الجارية العادية . لكن فتحشتين لا يتخلى في فلسفته المتأخرة عن المنطق بوصفه حداً للفة ، بل جعله حداً للقواعد الخاصة بتشكيلات (أو العاب) اللغة الفعلية . وهو بهذا إنما يستخدم الفكرة نفسها مع شوء من التفهير الطفيف الذي يتافق مع تغيير وجهة نظره الفلسفية .

★★★

سابعاً - فلسفة الرياضة عند فتحشتين :

يشبه فتحشتين الرياضيات (٩٨) بالمنطق من حيث أن كلاً منها لا يتناول الواقع الخارجي بالفعل على نحو مباشر . بل أنه يتكلم عنهما أحياناً على أنهما مترابطان ترابطًا وثيقاً . ويمكن توضيح وجه التشابه بينهما في صورة تصوره لمعنى الرياضة ، الذي يتمثل فيما يلي :

(١) يرى فتحشتين أن القضية الرياضية تعبر عن تحصيل الحاصل ، وهي بهذا إنما تشبه القضية المنطقية ، وهو في هذا يقول

حدود العالم . وهو يعبر عن ذلك في بعض عبارات كتابه « رسالة منطقية فلسفية » ، مثل (أن المنطق يملاً العالم : فحدود العالم هي أيضاً حدوده) ، ومثل (أن المنطق ليس نظرية من النظريات ، بل هو انعكاس العالم) (٩٩) .

تحليل القضايا المنطقية : على الرغم من أن (المنطق يملاً العالم : فحدوده هي أيضاً حدوده) ، إلا أن المنطق في حد ذاته ليس له ما يقابلها في الوجود الخارجي ، بقدر ما هو طريقة لاستخدام الرموز وفقاً لقواعد معينة . ولذا : - فقضايا المنطق لا تقول شيئاً ، بل (أنها تصف هيكل العالم ، أو بمعنى آخر أنها تمثله ، فهي لا تتناول شيئاً . إنما تفترض مقدماً أن للأسماء معنى « دالة » ، وإن للقضية الأولية معنى ، وهذه هي الصلة التي تربطها بالعالم) .

وعلى ذلك فقضايا المنطق تحصيلات حاصل (أنها هي القضايا التحليلية) ، ومن ثم يرى فتحشتين أن (كون قضايا المنطق تحصيلات حاصل ، يبرز الصفات الصورية ، أي الصفات المنطقية للفة والعالم) .

ولما كانت قضية تحصيل الحاصل عند فتحشتين هي الصادقة صدقاً غير مشروط ، فكذلك قضايا المنطق عنده صادقة صدقاً يقينياً غير مشروط لأنه متضمن فيها بحكم تركيبها (فالعلامة المميزة للقضايا المنطقية هي أن الإنسان يمكنه أن يدرك في الرمز وحده انها صادقة . وهذه الحقيقة تتضمن في ذاتها كل فلسفة المنطق) وعلى ذلك فالقضية المنطقية لا يمكن إثبات صدقها أو كذبها تجريبياً (وهذا يلقي ضوءاً على السؤال الذي يسأل عن السبب في عدم امكان إثبات القضايا المنطقية تجريبياً

(٩٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦١٣ - صفحة ١٥١ .

(٩٧) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٢٢ - صفحة ١٤٧ .

(٩٨) والرياضية التي يقصدها فتحشتين هنا هي الرياضة البحتة .

اتفاقية - (فليس في طبيعة الرموز ما يفرض وجودها) - توافع الناس على استخدامها لكي يشيروا بها إلى مجموعات من الأشياء ، إلا أن الأعداد نفسها ليست شيئاً من الأشياء ، أي أنها ليس لها ما يقابلها في الواقع الخارجي . فإذا قلت مثلاً $(2 + 2 = 4)$ فإن هذا القول لا يرسم الواقع الخارجي ، إذ لا يوجد في الواقع شيء اسمه « 2 » ولا شيء اسمه « 4 » ، إنما توجد فيه معدودات : كتابان أو حصانان أو أربعة كتب ... وغير ذلك .

كما تمثل تلك السمة الصورية كذلك عنده في حالة الرموز غير العددية ، فإذا قلت مثلاً $(1 = ب)$ فأنا لم أقل شيئاً عن الواقع الخارجي بحيث أستطيع أن أحكم على هذا القول بالصدق أو الكذب لأنني لا أعرف ما الذي تشير إليه « 1 » ، أو « B » في الواقع الخارجي . وفي هذا الصدد يقول فتحنشتين أن التعبيرات التي تأخذ شكل $1 = B$ لا تفعل شيئاً أكثر من بيانها للتساوي بين الطرفين .. فهي لا تقدر شيئاً عن معنى العلامتين « 1 » ، « B ») (١٠١) . لهذا يكون قوله هذا مجرد إطار يصدق على جميع الحالات التي اترجم فيها « 1 » ، « B » إلى أسماء تشير إلى ماله وجود في الواقع مثل (الجنية = ١٠٠ قرش) ، ولذا فنحن في الحياة العادية (لا نستخدم القضايا الرياضية إلا لكي نستدل بها من قضايا لا تتعلق بالرياضية ، على قضايا أخرى لا تتعلق بالرياضية هي أيضاً) . وهكذا يمكن استخدام الرياضيات منهجاً تبعه في الاستدلال على قضايا غير رياضية من قضايا أخرى غير رياضية .

(٣) ولقد ترتب على صورية قضايا الرياضة عند فتحنشتين أنها أصبحت تتصرف

(ان الرياضيات أحدى طرق المنطق) (٩٩) (١) أنها تعبر عن تحصيل الحاصل على نحو مختلف عن التعبير الخاص به في قضية المنطق ، لأنها تضع تحصيل الحاصل على شكل معادلة . (فقضايا الرياضة عبارة عن معادلات) ، كما أن (ما هو جوهرى في المنهج الرياضي هو استخدامنا للمعادلات) . والمعادلة الرياضية عبارة عن تفسير لتصيفه التي تقع على يمين علامة التساوى مثلاً ، تصيفه أخرى ترافقها على يسار علامة التساوى . وهكذا فمعنى قولنا مثلاً : $2+2=4$ هو أننا قد اتفقنا على استخدام رمزي هما $(2+2)$ ، (4) بمعنى واحد . ومن ثم فالقضية الرياضية إنما تعبر عن إمكان استبدال أحد التعبيرين المرتبطين بعلامة التساوى ، بتعبير آخر مساو له ويرادفه ، (فإذا كان هناك تعبيران يرتبطان بعلامة التساوى ، فإن ذلك يعني إمكان استبدال أحدهما بالآخر) . ولذا فإن (المنهج الذي تصل به الرياضيات إلى معادلاتها هو منهج الاستبدال ، لأن المعادلات تعبر عن إمكان استبدال تعبيرين أحدهما بالآخر) ، وحسن ننتقل من عدد المعادلات إلى معادلات جديدة ، بأن نضع تعبيرات محل تعبيرات أخرى وفقاً للمعادلات) (١٠٠) .

(٢) كما يرى فتحنشتين في قضايا الرياضيات نوعاً من تحصيل الحاصل طالما أنها لا تتناول الواقع الخارجي وبالتالي فصدقها لا يرتبط بمقارنتها بالواقع بقدر ما يعتمد على عدم تناقضها الذاتي . وهو يوضح تلك السمة الصورية في قضايا الرياضيات بقوله إن القضية الرياضية - شأنها شأن القضية المنطقية - لا تكون رسمياً للواقع الخارجي . فالإعداد مثلاً ، يوصفها من أهم الرموز المستخدمة في الرياضيات ، ليست عند فتحنشتين الارموزا

(٩٩) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٦٥٢٤ - صفحة ١٥٢ .

(١٠٠) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٥٢٤ - صفحة ١٥٣ .

(١٠١) المرجع السابق ، عبارة رقم ٤٢٤ - صفحة ١٠٠ .

الصدق يمكن مقارنة اللغة بالرياضيات من حيث ضرورة اقامتها على قواعد هي في حقيقتها قواعد منطقية .

كما نلاحظ أن النتيجة التي تلزم عن تحليل فتحشتين للرياضيات على النحو السابق ، هي أن الرياضيات إنما ترتد في نهاية الأمر إلى المنطق ، وليس الأمر عنده مقصوراً على مجرد شابه القضية الرياضية بقضية المنطق . وهو بهذا إنما يؤكد المحاولة التي قام بها برتراند رسل من قبل لرد الرياضيات إلى المنطق وذلك في كتابه « أصول الرياضيات » (عام ١٩٠٣) وفي كتابه الذي اشترك فيه مع الفرد نورث هوایتھر « المبادئ الرياضية » (عام ١٩١٣ - ١٩١٠) .

ثامناً - فلسفة العلوم الطبيعية عند فتحشتين :

لم تقتصر تحليلات فتحشتين على مفاهيم الرياضيات والمنطق والفلسفة ، إنما تعدد ذلك إلى تناول الكثير من تصورات العلم الفيزيائي بالنقد والتحليل . وسنعرض فيما يلي لبعض هذه التحليلات عنده :

١ - **القضايا العلمية :** يصنف فتحشتين القضايا بقوله إن القضية هي (أما تحصيل حاصل ، وأما قضية دالة على شيء ، أو هي تناقض) (١٠٤) . والقضايا التي تدل على شيء أو واقعة أو موضوع ما ، هي التي يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة لأنها هي التي تتناول ما في العالم الخارجي . فان رسمت ما في العالم الخارجي رسمًا صحيحاً كانت صادقة ،

بالصدق اليقيني (طالما أنها تخلو من التناقض الذاتي) ، وطالما أنها تلزم فيها بالطريقة التي اتفقنا عليها لاستخدام الرموز . وصدقها في هذه الحالة يكون يقينياً - عنده - لأنها لا تصدر شيئاً مما يقع في التجربة ؛ لأنها مجرد تسجيل منظم لاتفاق توافع عليه الناس بالنسبة لاستخدام بعض الرموز .

كان هذا هو المعنى العام للرياضة في فلسفة فتحشتين بصفة عامة ، وفي فلسفته الأولى بصفة خاصة لأن تصور فتحشتين للرياضيات في فلسفته المتأخرة لم يتغير كثيراً عما كان عليه في فلسفته الأولى الا بقدر يسير استلزم تغيير منهجه التحليلي للغة (١٠٢) .

والواقع ان طريقة تناول فتحشتين للرياضيات في فلسفته المتأخرة ، تلقى كثيراً من القصوى على فكرته عن استخدام اللغة . فكما أن معنى اللفظ يتوقف بناء على لغة اللغة التي نستخدمها ، وكما أن العاب اللغة تتحدد وفقاً لقواعد معينة - هي بالدرجة الأولى قواعد منطقية - فكذلك الرياضيات . والأمثلة الكثيرة التي يذكرها فتحشتين في كتابه « ابحاث فلسفية » توضح كيف أننا اثناء كتابة احدى المتسلسلات العددية مثلاً - إنما نتبع قاعدة معينة تتواли وفقها الأعداد مثل المتسلسلة العددية التالية « ١ ، ١١ ، ٥ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٣١ ، ٥٥ ، ٧٠ ... » وغيرها ذلك . ومن ثم فالرياضيات تسير عند فتحشتين وفقاً لقواعد معينة ، هي في حقيقتها عنده ، قواعد منطقية تتعلق بالترتيب وأنواعه ، وغير ذلك . وفي هذا

(١٠٢) ارجع في هذا بالتفصيل الى كتابنا « لدغة فتحشتين » ، صفحة ٢٩٩ .

Wittgenstein, L. : Philosophical Investigations, Part I, sec. 151, P. 59.

(١٠٣)

(١٠٤) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٥٥٢٥ ص ١٣٠ .

« ذلك الضرب من ضروب الاستدلال الذي يكشف لنا عن قانون عlam أو يبرهن عليه » (١٠٧) . فمن معرفتنا بأن :

- أ - قطعة من الحديد وأنها تتمدد بالحرارة
- ب - قطعة من الحديد وأنها تتمدد بالحرارة
- ج - قطعة من الحديد وأنها تتمدد بالحرارة

ننتهي الى القول بأن « كل حديد يتتمدد بالحرارة » ، وكأننا في الحالة التي ننتقل فيها من الحكم على بعض جزئيات الحديد بصفة ما وهي التتمدد بالحرارة ، الى حكم عام يصدق على كل عينات الحديد ، إنما ننتهي بأن أية قطعة حديد سوف تصادفها مستقبلاً ستكون متصففة بالصفة عينها . وهنا تكمن المشكلة (وتُعْرَفُ في كتب مناهج البحث في العلوم باسم مشكلة الاستقراء) الأساسية في الاستقراء وهي : على أي أساس يكون هذا التنبؤ صحيحاً ؟ والجواب هو : على أساس ما عرفناه من حالات جزئية أو مفردة سابقة . لكن السؤال لا يزال قائماً : وهل معرفتنا بعدد محدود من الحالات يجيز لنا الحكم على جميع الحالات الأخرى بأنها ستكون كذلك بالضرورة ؟ هل يمكن من معرفتي (بأن بعض الطلبة مجتهدون) أن أعرف بالضرورة (أن كل طالب مجتهد) ؟ إن الاحاطة العابرة ببساطة مبادئ المنطق التقليدي لا تسمح لنا بمثل هذا الانتقال ، فـ أحکام التقابل بالتدخل مثلاً لا تجيز لنا الحكم على صدق القضية الكلية بناء على صدق القضية الجزئية المتداخلة معها . وهذا ما ينطبق على الاستقراء ، ف مجرد الحكم على عدد من الجزئيات بأنها متصففة بصفة معينة ،

وala فهى كاذبة . وهذه القضايا هي التي يسمى بها فتجنثين بالقضايا العلمية أو قضايا العلوم .

وهكذا فالقضايا العلمية عند فتجنثين ليست صادقة بالضرورة ولا كاذبة بالضرورة ، بل يتوقف الصدق فيها والكذب بناء على مقارنتها بالواقع الخارجي (فمن الرسم « أي القضية » وحده لا نستطيع أن نكشف ما إذا كان صادقاً أو كاذباً) (١٠٥) ، وهذا ما يميزها عن القضايا التحليلية ، أو قضايا تحصيل الحاصل (مثل قضايا الرياضة والمنطق) التي يتضح صدقها من بنيتها وتكوينها .

وعلى ذلك فالقضية العلمية التجريبية هي قضية احتمالية عند فتجنثين لا يقين فيها ، وما دامت قوانين العلم عنده هي تعليمات لقضايا تجريبية مختلفة ، فإنه يلزم عسراً ذلك أن تكون قوانين العلوم الطبيعية عنده قوانين احتمالية لا ضرورة فيها ولا يقين . ويستشهد فتجنثين على ذلك بتحليل فكرتين أساسيتين تتعلقان بالعلم وفلسفته ومنهج البحث فيه ، هما فكرة الاستقراء وفكرة السببية (١٠٦) ، منتهياً الى أن فكرة الضرورة لا وجود لها في أي منها ، وفيما يلى توضيح ذلك :

٢- مبدأ الاستقراء : والاستقراء Induction هو المبدأ الذي نعتمد عليه في البحث العلمي ، للوصول الى حكم عام ينطبق على كل الجزئيات أو الحالات المشابهة ، بناء على معرفتنا بعدة جزئيات أو عينة محدودة من تلك الحالات . أو هو كما يعرفه رسول

(١٠٥) المرجع السابق ، عبارة رقم ٢٥٢٤ - صفحة ٧.

(١٠٦) ويسمى بها فتجنثين بقانون الاستقراء والسببية ، وهو في الواقع ليسا من القوانين العلمية بقدر ما هما من المبادئ التي يعتمد عليها التفكير العلمي في صياغة القوانين .

يكون قانوناً منطقياً ، اذ من الواضح أنه قضية ذات دلالة خارجية ، ولذا فهو لا يمكن أن يكون قانوناً أولياً كذلك) (١٠٨) .

الا أن تتجنثين يقبل فكرة الاستقراء ، والا أصبحنا بدونها عاجزين عن بلوغ التعميمات العلمية، لكنه يفسره – لا بوصفه مبدأ أولياً – بل على انه مجرد افتراض يفسر ما يقع في خبرتنا من ظواهر ، او هو بعبارة أخرى ، أبسط فرض نفترض لهذا التفسير ، فيقول ان عملية الاستقراء ليست الا عملية افتراض القانون البسط الذي يمكن أن ينسجم مع خبرتنا) (١٠٩) . ومن ثم فلا يقوم هذا الافتراض عنده على فكرة الأولية او الضرورة ، والا كان قائماً على أساس منطقى ، بل انه يقوم عنده على أساس نفسي فقط ، وينبع عن هذا المعنى قوله (ان هذه العملية « اي الاستقراء » ليس لها أساس منطقى ، بل أساس نفسي فقط ، فمن الواضح أنه لا وجود لأسس نعتقد بناء عليها أن أبسط مجرى للأحداث هو الذي سيحدث حقيقة) (١١٠) . ويوضح ذلك بالمثل التالي : إننا نرى الشمس تشرق كل يوم ولذا فان أبسط فرض نفترضه ويكون متمثلاً مع خبرتنا التي الفنا فيها شروق الشمس كل يوم ، هو أن نفترض أنها سوف تشرق غداً ، وذلك لأننا الفنا اطّراد هذه الظاهرة كل يوم بلا استثناء ولا تحلف ، فكان الفنا لهذا الاطّراد وتعودنا عليه هو أساس افتراضنا لما سوف يحدث وتوقعنا اياباً .

٣ - مبدأ السبيبية : يحلل تتجنثين مبدأ السبيبية – ويسميه بقانون السبيبية – على غرار تحليله لمبدأ الاستقراء ، منتهياً الى رفض فكرة الضرورة (عقلية كانت أو تجريبية) التي تبرر ارتباط ما يسمى بالسبب بما يسمى

لا يبرر الحكم على جميع الجزئيات المائلة بأنها متصفه بتلك الصفة الا على سبيل الاحتمال والترجيح . وهذا ما يذهب اليه تتجنثين اذ يرى أن الاستقراء لا يؤدي الا الى نتائج احتمالية فقط ، وبالتاليى لكل القضايا والقوانين العلمية التي توصل اليها عن طريق الاستقراء تكون احتمالية فقط ، اذ لا يقين عنده الا في الرياضيات والمنطق فقط .

الا ان المشكلة السابقة ليست هي المشكلة الوحيدة المتعلقة بالاستقراء ، بل هناك مشكلة اخرى – لا تتعلق بنتائج الاستقراء – انما بالاستقراء نفسه من حيث المبدأ ، وتتلخص في انه اذا كان الاستقراء هو المبدأ الذي نعتمد عليه في التوصل الى التعميمات العلمية ، فهل هذا المبدأ نفسه مبدأ أولى ، أم انه هو نفسه كان نتيجة لعملية استقرائية ايضاً ، أم كيف توصلنا الى معرفته ؟

يرى بعض الفلاسفة انه مبدأ أولى ضروري ، كما يرى بعضهم الآخر انه ليس مبدأ أولياً إنما هو مكتسب من الملاحظة والخبرة ، لكن الاستقراء في هذه الحالة الأخيرة يكون هو نفسه نتيجة لعملية استقراء ، وبذلك نقع في الدور المنطقى ، اذ ننتهي الى مبدأ الاستقراء نتيجة لعملية استقراء ، وعملية الاستقراء تقويم على مبدأ الاستقراء ، وهذا خلاف لأن المبدأ او الشيء الواحد لا يكون برهاناً على صحة نفسه . اذن فمبدأ الاستقراء لا يكون مكتسباً من التجربة . فهل هو اذن مبدأ أولى قبل ضروري ؟

يرفض تتجنثين الاجابة بالاثبات على هذا السؤال (لأن كل ما هو خارج عن المنطق فهو عرضي) . وينبع عن هذا المعنى قوله (وما يسمى بقانون الاستقراء لا يمكن بأية حال أن

(١٠٨) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٦٣١ - صفحة ١٥٣ .

(١٠٩) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٣٥٣ - صفحة ١٥٨ .

(١١٠) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٣٦٢١ - صفحة ١٥٨ .

« ب » أن تلزم عن « أ » . ويرى هيوم أن هذه العادة العقلية هي التي نعتمد عليها في التعميم الخاص بالعلوم الطبيعية ، والتکهن بالمستقبل بناء على الخبرات السابقة (فالعادة التي جعلتنا نستدل على وجود علاقة بين العلة والعلو ، هي العادة نفسها التي تجعلنا نستدل على وجود الجوهر ، من الصفات الموجودة في الأشياء) (١١١) . كما سبق فتجنشتين ، بل وكذلك هيوم ، إلى رفض الضرورة في السببية بعض مفكري الإسلام مثل الheroى الانصارى الذى ذهب إلى أنه (ليس في الوجود شيء يكون سبباً ولا شيء جعل لشيء ... بل محضر الارادة الواحدة يصدر منها كل حادث ويصدر مع الآخر مقترنا به اقتراناً عادياً ، لا أن أحدهما معلم بالآخر أو سبب له أو حكمة له ، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر) ، ومثل الجويني الذى ذهب إلى (أن الجمع بالعلة في قياس الفائب على الشاهد لا أصل له ، إذ لا علة ولا معلول عندنا) ، ومثل الإمام الفزالي الذى ذهب في كتابه « تهافت الفلسفه » إلى (أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضروريًا عندنا ، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا . إن اثبات أحدهما لا يتضمن على الإطلاق اثبات الآخر ، ولا نفي أحدهما يتضمن على الإطلاق نفي الآخر . وليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر) (١١٢) .

الا أن الجديد في رفض فتجنشتين لفكرة الضرورة في السببية ، وتميزه عن سبقوه إلى هذا الموقف ، هو انه أقام هذا الرفض على

بالمسبب مجرد أن أحدهما يسبق الآخر أو يقترن به . وفكرة السببية تتلخص في أنه لا شيء من لا شيء فلا يمكن أن يوجد أى شيء أو يتغير إلا إذا كان هناك سبب لوجوده أو لحداث هذا التغيير . ومن ثم فهي تقوم على تصور وجود رابطة تربط بين ظاهرة وظاهرة أخرى أو بين شيء وشيء آخر على نحو يجعل من أحدهما سبباً في وجود الثاني . فإذا لاحظت أن الحديد إذا وضع بجانب النار يتمدد فيزداد طولاً ، ربطت بين ظاهرة تمدد الحديد ، وبين وجود الحرارة أو النار وقلت أن النار هي السبب في تمدد الحديد . وإذا لاحظت أن الورقة تشتعل إذا وضعت في النار ، ربطت بين ظاهرة اشتعال الورقة وبين النار ، وقلت أن النار هي السبب في اشتعال الورقة . ويمكن التعبير عن هذا المبدأ على النحو التالي : انه كلما وجدت « أ » ، وجدت « ب » . وإذا وجدت « ب » ، كان ذلك معناه وجود سببها بالضرورة وهو « أ ». وهذه الضرورة في الربط بين « أ » ، « ب » أو في لزوم « ب » عن « أ » ، هي ما يرفضه فتجنشتين . حقاً ان فتجنشتين لم يكن هو أول من ناقش فكرة الضرورة في السببية ، فقد سبقه إلى هذا بعض الفلسفه الفريبيين وخاصة الفيلسوف الانجليزي دايفيد هيوم D. Hume في القرن الثامن عشر الذي فسر مبدأ السببية بوصفه عادة عقلية تكونت بناء على ما ندركه من اطراد في تتبع الظواهر . فلأننا ندرك دائمًا أن « أ » تتبعها « ب » في الوجود مئات المرات ، فإننا نألف حدوث الظواهر على هذا النحو ، لكن هذا لا يعني عند هيوم وجود علاقة ضرورية تربط بينهما ، كما لو كانت طبيعة « أ » تستلزم وجود « ب » ، وكما لو كان من طبيعة

Hume, D. : A Treatise of Human Nature. Vol. I, Book I, Part IV sec. (١١١)
3, P. 211.

(١١٢) ارجع في هذا بالتفصيل الى كتابنا « لدیج فتجنشتين » ، صفحه ٣٠٨ وما بعدها .

قانون) ١١٥) ، لأنه لا يقتصر على اطراد ظواهر معينة، إنما يتكلم عن معنى الاطراد بصفة عامة. فالقوانين الخاصة بكل علم من العلوم تتناول اطراد الظواهر المتعلقة بهذا العلم والتي تدخل في نطاق بحثه مثل الكيمياء والطب والفيزياء وغيرها . أما مبدأ السببية ، فهو ليس قانوناً كبوية القوانين العلمية الأخرى طالما أنه يتناول فكرة الاطراد دون الاقتصار على هذا النوع أو ذاك من الظواهر . وينبئ فتحشتين عن هذا المعنى بقوله : إذا كان هناك قانون للسببية، فربما كانت صيغته كما يلى : « هناك قوانين للطبيعة ») ١١٦) .

وعلى ذلك فيما أن مبدأ السببية نفسه ليس بالمبدا الأولى اليقيني ، فمن الطبيعي اذن أن تكون قوانين العلوم التي نتوصل اليها بالاستقراء ، الذي نعتمد فيه على مبدأ السببية (وكلهما عند فتحشتين مجرد افتراض) غير يقينيه ، بل هي احتمالية . ولذا فليس هناك ما يبرر (أن يقف الناس عند قوانين الطبيعة، كما لو كانوا يقفون أمام شيء لا يجوز الشك فيه) .

٣ - وعلى الرغم من تغير وجهة نظر فتحشتين الفلسفية المتأخرة ، فإن موقفه من كل من الاستقراء والسببية ظل كما هو . ولقد عبر عن مثل هذا المعنى في كتابه « أبحاث فلسفية » بقوله (لماذا نقول بأننا نشعر بوجود رابطة السببية ؟ إن السببية بالتأكيد شيء توصلنا إليه بواسطة التجارب والخبرات، أي عن طريق الاقتران المطرد في وجود أحداث أو ظواهر معينة)) ١١٧) .

اساس من نظريته الذرية المنطقية ، وذلك على النحو التالي :

١ - لما كانت الواقع الذري تستقبل بعضها عن بعض ، فذلك تكون القضايا الأولية التي ترسمها ومن ثم فلا يمكن الاستدلال على آية قضية أولية ، من قضية أولية أخرى ، إذ أنه (لا بد توجد رابطة علية تبرر مثل هذا الاستدلال) .

ويطبق فتحشتين هذا المعنى بالنسبة للتنبؤ بالمستقبل فيقول (ان احداث المستقبل لا يمكن الاستدلال عليها من احداث الماضي) بمعنى أن (ضرورة حدوث شيء ما لأن شيئاً آخر قد حدث ، لا وجود لها . فالضرورة لا تكون الا ضرورة منطقية)) ١١٢) .

٢ - هكذا ينتهي فتحشتين من رفض الضرورة في السببية الى القول بأن مبدأ السببية هو بمثابة افتراض تنظم على أساسه تجاربنا وخبراتنا العلمية (فالقضية التي تقول بأن فعلك سببه كلّا وكذا ، هي مجرد افتراض . والفرض يكون قائماً على أساس قوى اذا كان لدى الانسان عدد كبير من الخبرات المؤيدة)) ١١٤) . الا أن هذا الافتراض لا يمكن أن يكون ضروريأ أو صادقاً صدقأ أولياً لأن مجرد افتراض اقمناه على تجربتنا السابقة ، ولأن الضرورة لا تكون أساساً الا في المنطق .

وعلى الرغم من أن مبدأ السببية قد توصلنا إلى افتراضه بناء على ما وقع في خبرتنا من اطراد للظواهر ، الا أنه لا يعتبر هو نفسه قانوناً علمياً بالمعنى الصحيح (بل هو صورة

(١١٣) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٦٣٧ - صفحة

Wittgenstein, L. : The Blue Book, P. 15.

(١١٤)

(١١٥) رسالة منطقية فلسفية ، عبارة رقم ٦٤٢ - صفحة

(١١٦) المرجع السابق ، عبارة رقم ٦٣٦ - صفحة

Wittgenstein, L. : Philosophical Investigations, Part I, sec. 169, P. 68.

(١١٧)

تاسعاً - تأثير فتحنستين في الفكر الفلسفى**العاصر :**

على الرغم مما وجه من نقد الى فلسفة فتحنستين بصفة عامة (١١٨) ، الا أن ذلك النقد لم يكن ليقلل من أهميته في تاريخ الفكر المعاصر . فقد كان لأغلب الأفكار التي ذهب إليها فتحنستين - سواء في فلسنته الأولى أو المتأخرة مثل : فكره عن الذرية المنطقية وعن النظرية التصويرية للغة ، وعن تحقيق الفضايا وعن الخلو من المعنى والميتافيزيقا ، وعن نظرية الاستخدام الفعلى للغة ، فضلاً عن تصوره الجديد لوظيفة الفلسفة ولهمة الفيلسوف ، وللمنهج الذي ينبغي اصطناعه في التفلسف وهو المنهج التحليلي . كل ذلك ، وغيره ، كان له أبلغ الأثر في كثير من عاصره أو جاء بعده من فلاسفة مثل برتراند رسل ، وفلاسفة الوضعيّة المنطقية ، وفلاسفة اللغة المعاصرین وغيرهم . وفيما يلي أمثلة لذلك :

(١) تأثيره في برتراند رسل :

على الرغم من أن رسل كان استاذ فتحنستين في جامعة كمبردج ، ومن الطبيعي أن يكون الآخر الذي يتركه أحدهما في الآخر هو أثر الاستاذ في التلميذ ، وليس العكس . إلا أن التأثير كان متبادلاً بينهما ، فكما أثر رسل في فتحنستين وخاصة في بداية تفكيره الفلسفى المتمثل في الأجزاء الاولى من «رسالته المنطقية الفلسفية» ، وفي نظريته الذرية بصفة عامة . فهو أيضاً قد تأثر ببعض أفكار فتحنستين ، وذلك ما يتضح - على الأقل - في حالة الأفكار التي يعترف رسل نفسه بأنه مدین لفتحنستين بتوجيهه نظره إليها مثل :

(١١٨) ارجع في هذا بالتفصيل الى الفصل الرابع من كتابنا « لدفيج فتحنستين » ابتداء من صفحة ٣١٨ .

(١١٩) وهي في أصلها ثمان محاضرات القاها رسل في جامعة لندن فيما بين نهاية عام ١٩١٧ ، وبداية عام ١٩١٨ . ونشرت عام ١٩١٨ .

(١٢٠) وهي جماعة تالفت من عدد من الفلسفه والعلماء والرياضيين . اسسها موريس شليك M. Schlick بقينا عام ١٩٢٠ ومن أبرز ممثلها المعاصرين رودلف كارنب .

استبعادها . ولقد كتب كارنب مقالاً خصصه لاظهار هذا المعنى بعنوان «استبعاد الميتافيزيقا باستخدام التحليل المنطقي للغة» ، انتهى فيه الى أن («التحليل المنطقي في الفلسفة المعاصرة» ، ينتهي بنا الى أن جميع العبارات التي تتناول موضوعات تدخل في نطاق الميتافيزيقا ، هي عبارات خالية من المعنى) (١٢٢) .

(٢) تأثيره في فلسفة آير : Ayer, A. J. و يتلخص في :

● القول بمبدأ التحقق (أو تحقيق المعنى) verification . ويلاحظ في هذا الصدد أن القول بمبدأ التتحقق ليس مقصوراً على فلسفة آير فقط ، بل هو مبدأ مقبول لدى فلاسفة الوضعية المنطقية في جملتهم ، وقد استمدوا من قول شليك بأن معنى القضية هو طريقة تحقيقها ، فالقضية عنده (لا يكون لها معنى الا اذا كان من الممكن التتحقق من صدقها أو كذبها) (١٢٣) بمقارنتها بالواقع الخارجي . ولقد تأثر شليك بفتحشتين في قوله بفكرة التتحقق ، واستمر هذا التأثير بدوره من خلال شليك الى فلاسفة الوضعية المنطقية ، ومنهم آير . ففتحشتين كان يذهب الى أننا يجب أن نقارن القضية بالوجود الخارجي الذي جاءت ترسمه ، فان عبرت عن حالة الاشياء كما هي في الواقع ، كانت القضية صادقة ، والا فهي كاذبة . وهي في كلتا الحالتين تكون ذات معنى . حقاً ان فتحشتين لم يستخدم كلمة «تحقيق» في فلسفته ، الا انه كان يستخدم الكلمة «مقارنة» ، وكان يقصد بها نفس المعنى الذي ذهب اليه شليك ومن تبعه من الوضعيين المنطقيين من معنى التتحقق ، ويعتبر آير من اكثرا الوضعيين

(١) تأثيره في فلسفة كارنب : و يتلخص في :

● اقتداء كارنب اثر فتحشتين في محاولة ايجاد تواز بين قوامى المنطق من ناحية وقواعد اللغة من ناحية اخرى ، وذلك عن طريق تصوير كل منهما في نسق رمزي صورى قوامه رموز خالية من مضمونات المعنى وذلك في كتابه «البناء المنطقي للغة Logical Syntax of Language» وكان فتحشتين أول من ذهب الى أن صورة المنطق وصورة اللغة متشابهتان ، او بعبارة اخرى ان الفكر واللغة شيء واحد ، لأن (الفكر هو القضية ذات المعنى) (١٢٤) عنده .

● وفي اقتداء كارنب اثر فتحشتين في تصنيف القضايا الى ثلاثة أنواع هي : قضايا صادقة دائماً ، بحيث تبين صدقها من مجرد ادراكنا لصورتها ، وهي شبيهة بعبارات تحصيل الحاصل عند فتحشتين .

وقضايا كاذبة دائماً ، وتبين كذلك كذبها من مجرد ادراكنا لصورتها فقط . وهي قضايا التناقض عند فتحشتين .

وقضايا تجريبية تتعلق بمجال العلوم التجريبية ، وبالتالي فهي قد تكون صادقة او كاذبة . وينتهي كارنب الى أن اية قضية لا تدخل في أحد هذه الأنواع السابقة او لا تتتمي اليها – تكون ، تلقائياً ، عبارة خالية من المعنى (على مستوى الفلسفة والعلم) .

● وفي أن كارنب – مثل فتحشتين – كان يذهب الى أن قضايا الميتافيزيقا التقليدية خالية من المعنى ، بل هي زائدة يمكن

(١٢١) رسالتمنطقية فلسفية، عبارة رقم ٤، صفحة ٨٢.

Carnap, R. : (The Elimination of Metaphysics) (in : Logical Positivism, (١٢٢)) edited by : Ayer,A.) P. 60.

Schlick, M. : (Positivism and Readism) (in : Logical Positivism) P. 88. (١٢٣)

الميتافيزيقي ، ليس انه يحاول استخدام العقل في مجال يستحيل عليه أن يفامر فيه مغامرة مجده (١٢٦) ، بل هو أنه يقدم لنا عبارات لاتتحقق الشروط التي لا بد من توافرها لكي تكون العبارة ذات معنى (١٢٧) .

(ج) في فلسفه التحليل اللغوی المعاصرین :
ومن أبرزهم في هذا الصدد :

(١) جلبرت رايل Gilbert Ryle الذي يبدو تأثير فتنجشتين فيه واضحًا ، وخاصة فيما ذهب إليه في مقال له بعنوان «العبارات المضللة misleading Expressions» الذي يقول فيه (أني أعني بالعبارة ، معناها الإيجابي ، كما أني أقول حينما تكون العبارة صادقة أنها تسجل واقعة من الواقع أو أحد حالات الأشياء ، أما القضايا الكاذبة فهي تلك التي لا تفعل ذلك) . ويمثل رايل للعبارات المضللة بالقضايا شبه الوجودية Quasi-ontological في نظره يستخدم مثل هذه العبارات التي لا تشير إلى أي شيء في الواقع الخارجي – طالما هي شبيهة بالعبارات الوجودية من حيث الصورة – على أنها تشير إلى معنى شأنها شأن العبارات الوجودية . فإذا بحثنا عما تشير إليه مثل ما تفعل تلك العبارات الوجودية في الواقع الخارجي ، لما وجدنا شيئاً . وفي هذه الحالة تنشأ المشكلة الفلسفية ، ويبدأ الفيلسوف الميتافيزيقي في التفكير في ضرورة وجود ما يقابل هذه العبارات والالفاظ ، حتى

دفعاً عن مبدأ التحقق (١٢٤) ، بعد أن تعرض للنقد من جانب الفلسفه المثالين والذين ينهجون منهجاً ميتافيزيقياً ، وخاصة في قولهم بأن المبدأ نفسه غير قابل للتحقيق ، اذ أننا لا نستطيع أن نطبق عليه معناه ، فنتحقق من صدقه أو كذبه بمقارنته بالوجود الخارجي . وعلى ذلك فهو نفسه مما لا يمكن تحقيقه ، نستطيع أن نطبق عليه معناه ، فنتحقق من صدقه أو كذبه بمقارنته بالوجود الخارجي ، وعلى ذلك فهو نفسه مما لا يمكن تحقيقه ، وبالتالي يكون خالياً من المعنى ، ومن ثم لا نستطيع أن نعتبره معياراً نحكم به على وجود معنى للعبارات أو خلوها منه (١٢٥) .

ويرفض آير هذا النقد على أساس أن هذا المبدأ لا يصور الواقع الخارجي ، إنما يتناول طريقتنا في تحليل العبارات التي تتناول الواقع ، ولذا فهو نفسه غير قابل للتحقيق ، فيقول (هناك حجة مشهورة يستخدمها الدين يدافعون عن الميتافيزيقا ضد هجوم الوضعيين المنطقين ، وهي أن مبدأ التتحقق نفسه غير قابل للتحقق منه ...) ومن الطبيعي لا يكون قابلاً للتحقيق ، فقد وضع هذا المبدأ كتعريف ، لا كتقرير تجريبي للواقع) .

● القول بأن عبارات الميتافيزيقا التقليدية خالية من المعنى ، وهو بهذا إنما كان يردد ما ذهب إليه فتنجشتين من أننا يجب أن نبرهن لكل من يقول قوله ميتافيزيقيا ، انه لم يعط للألفاظ التي يستخدمها في عباراته أي معنى ، فيقول آير (أن الاتهام الذي نوجه للفيلسوف

(١٢٤) انظر في هذا مقالاً له بعنوان «التحقق والخبرة verification and Experience» الذي نشره في كتابه «الوضعيه المنطقية» Logical Positivism وأيضاً المقدمة التي قدم بها لهذا الكتاب ، وارجع أيضاً إلى كتابه «اللغة ، والصدق ، والمنطق» Language, Truth and Logic .

Collingwood, R. G. : An Essay Metaphysics, P. 163.

(١٢٥)

(١٢٦) ويقصد هنا آير الإشارة إلى نقد «كنت» للميتافيزيقا التقليدية .

Ayer, A. J. : Language, Truth and Logic, P. 19.

(١٢٧)

● ان ويزدم - مثل فتحشتين - لـ ي肯 يهتم بالنتائج الفلسفية التي يتوصل اليها بقدر ما كان مهتماً بمنهج التحليل نفسه عن طريق التوقف عند الأسئلة التي تطرح في الفلسفة واختبار معناها لمعرفة ما إذا كانت صحيحة أو غير صحيحة ، وبالتالي ما يتربى عليها من مشكلات .

● انه مثل فتحشتين في فلسفته المتأخرة، يذهب الى أن السبب في وجود مشكلات الفلسفة انما يعود الى أن الفيلسوف حينما يستخدم اللغة ، انما يستخدمها على نحو يختلف عن النحو الذي تستخدمناه في الحياة اليومية أو بعبارة أخرى (نجد ان الالفاظ التي تخرج من فمه ، لا تؤدي الى نفس النتائج التي الفنا لزومها عنها) .

● ان ويزدم يرى - مثل فتحشتين - ان الفلسفية يجب الا تبحث في طبيعة الاشياء ، بل تجعل مهمتها مقصورة على العبارات التي تقال في الفلسفية او العلم ، وبالتالي فهو ينتهي الى نتيجة قريبة الشبه بفكرة ألعاب اللغة (او التشكيلات اللغوية) عند فتحشتين . فهو يرى أن أهم الأسئلة المتعلقة بنظرية المعرفة في الفلسفه ثلاثة ، هي :

سؤال عن معرفتنا بالأشياء المادية ، سؤال عن معرفتنا بالموضوعات العلمية ، سؤال عن معرفتنا بعقل الآخرين . فسائل مثلاً « كيف نعرف الأشياء المادية » ، وعلى أي نحو تكون ؟ ولا نسأل (ما هي طبيعة الأشياء المادية ؟) ، بحيث تكون الإجابة عن مثل هذه الأسئلة من المقولات المناسبة التي يتعلق بها موضوع السؤال . وويزدم يذهب في هذا الصدد الى وجود مقولات ثلاث تشمل

ولو في عالم آخر غير هذا العالم ، على النحو الذي فعله أفلاطون قديماً في قوله بعالم المثل .

● وينتهي رايل الى القول بأن العبارات الميتافيزيقية التقليدية عبارات مضللة ، لأنها في حقيقتها خالية من المعنى ، فيقول (ان النتيجة التي أقبلها ، هي أن هؤلاء الفلسفه الميتافيزيقيين قد ارتكبوا خطأ كبيراً حينما حاولوا أن يسبغوا أهمية كبيرة على عباراتهم التي تجعل من « الوجود » مثلاً موضوعاً لقضاياهم ، ومما هو « حقيقي » صفة يصفون بها موضوعات قضاياهم ، او محمولات يحملونها عليها ... ان ما يقولونه - على أحسن تقدير - لا يخرج عن كونه عبارات مضللة تؤدي الى سوء الفهم ، وعلى أسوأ تقدير ، شيئاً خالياً من المعنى ، او هو مجرد لغو) (١٢٨) .

● كما ينتهي رايل كذلك الى نفس النتيجة التي انتهى اليها فتحشتين عن وظيفة الفلسفه ، على أساس أنها تحليل لعبارات اللغة ، للبحث فيها عن أساس الخطأ الذي يؤدي الى ظهور مشكلات الفلسفه . وبعبارة أخرى ، فقد أصبحت وظيفة الفلسفه عند رايل وظيفة علاجية ، وهي الوظيفة نفسها التي عبر عنها فتحشتين في كتابه « أبحاث فلسفية » بقوله (ان طريقة تناول الفيلسوف مشكلة ما ، تشبه طريقة علاج مرض من الأمراض) (١٢٩) .

John Wisdom (٢) جون ويزدم

الذى يقتفي اثر فتحشتين في بعض الأحيان كما يسير أحياناً آخر في الطريق نفسه وبعد مما فعل فتحشتين ويواجه النتائج التي ترتب على ذلك بصرامة أكثر . وذلك يتضح من المقارنة التالية :

Ryle, G. : Misleading Expressions (in Logic and Language, by : A. Flew, Vol. I) P. 14. (١٢٨)

Wittgenstein, L. : Philosophical Investigations, Part I, sec. 255, P. 91. (١٢٩)

Pole, D. : The Later Philosophy of Wittgenstein, P. 103. (١٣٠)

في عبارات اللغة ، وأن نقص التعریف يرجع إلى نقص الوصف التجربی) (١٣٢) .

كما يبدو تأثر فايزمان واضحاً بفكرة فتجمشتين في أن مشكلات الفلسفة إنما تنشأ عن سوء استخدام اللغة ، لسوء فهم منطقها . ولذا ينتهي فايزمان إلى ضرورة توضیح أهمية أنواع الخلط الموجود في اللغة حتى لا نقع في الخطأ ، ونثير وبالتالي من المشكلات في الفلسفة ما نحن في غنى عنه وما يظنه البعض بعض مشكلات حقيقة ، مع أنها ليست بطبيعتها كذلك .

ويمثل فايزمان لأنواع الفموض الذى قد نصادفه في اللغة بعدة أمثلة : كأن يكون الكلمة الواحدة معنيان مختلفان أو بتعبير آخر أكثر دقة (قد تكون هناك كلمتان تشتتركان في نفس العلامة الصوتية الواحدة مثل الكلمة (Like) التي تعنى « يحب » وتعنى « يشبه ») .

ومثل عدم التمييز بين المعانى المختلفة للالاظاظ على أساس اغفالنا للسياقات التي تدخل في تكوينها أو التي ترد فيها ، وهو في هذا الصدد يقول (حينما تستخدم الكلمة في سياقات مختلفة ، تبدو الكلمة نفسها كما لو كانت ذات معانٍ مختلفة) (١٣٣) .

اما سبق يتضح مدى تأثر فايزمان بفلسفة فتجمشتين (وخاصة فلسنته المتأخرة) الذي ذهب في أكثر من موضع من كتابه « أبحاث فلسفية » إلى أن معنى اللفظ إنما يتحدد وفقاً لاستخدامه الفعلى في اللغة ، وعلى سياقات المختلفة التي يدخل في تكوينها .

★ ★ ★

كل واحدة منها مبحثاً خاصاً ، فهناك مما يتعلق منها بالأشياء المادية ، وهناك مقولات تتعلق بموضوعات العلم ، ومقولات ثلاثة تتعلق بعقول الآخرين ، بحيث يكون استخدامنا للألفاظ والعبارات في أجابتنا عن سؤال يتعلق بالأشياء المادية ، من ضمن العبارات التي يمكن استخدامها في الإجابة عن هذا السؤال ، لا عن سؤال آخر يسأل عن كيفية معرفة العقل مثلاً . والواقع أن هذا الاستخدام لفكرة المقولات وثيق الصلة بفكرة فتجمشتين من العاب اللغة التي نستخدم فيها اللفظ في سياق بحيث يكون له معنى يختلف عن معناه لو استخدم في سياق آخر أو لعبه أخرى من العاب اللغة .

(٣) فريديريك فايزمان :

وببدو تأثير فتجمشتين فيه واضحاً ، خاصة في : قوله ببداً تحقيق المانى ، وان كان ما ذهب اليه فايزمان مختلفاً إلى حد ما فهو مثلاً - على الرغم من قوله بفكرة تحقيق القضية بمقارنتها بالواقع الخارجي - الا انه يذهب إلى أننا ننتهي دائماً إلى الشعور بوجود نقص في هذا المبدأ ، اذ انه لا وجود لتعريف يُعرف اي حد تجربى ، ويكون تعريفاً جامعاً يحصر جميع الامكانيات (لأن كل وصف تجربى يمتد دائماً في افق مفتوح مليء بالامكانيات) (١٣٤) . وكلما اصطنعنا الدقة في الملاحظة ، وجدنا ذلك الأفق وقد ازداد اتساعاً ، ومن ثم يتعدى علينا أن نعقد مقارنة وثيقة بين القضية التي ن تعالى وبين الواقع الخارجي الذي لم تستنفذ ملاحظتنا له كل امكاناته . وعلى ذلك فسان (النتيجة هي : أن نقص مبدأ التحقق ، قائم على أساس نقص تعاريفاتنا للحدود التي نتحققها

Waismann, F. : (Verifiability), (in : Logic and Language, edited by : (١٣١) Flew, A.) Vol. II, P. 122.

(١٣٢) المرجع السابق ، صفحة ١٢٤ .

(١٣٣) المرجع السابق ، صفحة ١١ .

كذلك . ومن هذا النوع ما قيل من أن موقف فِي تُجْنِشْتِين لم يكن متسقاً مع نفسه حين يذهب إلى أن وظيفة الفلسفة هي تحليل العبارات الفلسفية ، لا إقامة نسق ميتافيزيقي أو تقرير قضايا فلسفية ، وبالتالي فيما لا يمكن الحديث عنه ، يجب السكوت عن الخوض فيه (فما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه ، ينبغي عليه أن يصمت عنه) (١٢٥) ، وهو مع ذلك يكتب كتاباً في الفلسفة ، مع علمه بأن قضايا الفلسفة والميتافيزيقاً كما يقول خالية من المعنى .

ومن الواضح أن مثل هذا النقد نفسه قائم على مغالطة منطقية ، بل وينتهي كذلك إلى ما يسمى بالدور المنطقي . فالعبارة التي يقول فيها فِي تُجْنِشْتِين إن أغلب قضايا الفلسفة خالية من المعنى ، هي نفسها أحدى عبارات كتابه « رسالة منطقية فلسفية » . وعلى ذلك فلو جعلناها معياراً للحكم على بقية عبارات الكتاب ، وكانت عبارات الكتاب كلها خالية من المعنى ، وبالتالي تكون هي نفسها - بوصفها واحدة منها - خالية من المعنى . إذن فالقول بأن عبارات الفلسفة والميتافيزيقاً خالية من المعنى) ، يكون هو نفسه قوله لا معنى له ، ومن ثم لا يصلح ما لا معنى له للحكم على غيره سواء كان ذا معنى أو لم يكن . وكان العبارة الواحدة في هذه الحالة تصريح ذات معنى وخالية من المعنى في وقت واحد ، وهذا خلف وباطل . ومصدر الخطأ هنا راجع إلى اغفالنا أن الشيء الواحد لا يكون برهاناً على صحة أو بطلان نفسه ، والا وقعنا في تناقض شبيه بالتناقض المعروف بمشكلة الكذاب ، الذي قال - (ونفرض أن مقالة صحيح) - بأن « كل قومه كاذبون » ، وهو واحد منهم ، فهو كاذب ، إذن فالعبارة التي قالها كاذبة . ومن ثم تصريح العبارة الواحدة صادقة وكاذبة في وقت واحد .

عاشرًا - خاتمة :

تبقى بعد ذلك عدة ملحوظات تتعلق بفلسفة فِي تُجْنِشْتِين وتحليلاته بصفة عامة ، منها :

١ - ان فِي تُجْنِشْتِين لم يكن فيلسوفاً وضعياً منطقياً، كما لا تعبّر فلسفته عن الاتجاه الوضعي المنطقي . حقاً ان بعض الوضعيين المنطقيين تأثروا بتحليلاته مثل كارنب آير وغيرهما كما ذكرنا من قبل ، كما أنه من الحق كذلك ان نقول ان جماعة ثينا كانت تدرس رسالته المنطقية الفلسفية ، حتى ليذهب البعض إلى القول بأن « رسالة » فِي تُجْنِشْتِين كانت أشبه ما تكون بإنجيل فلاسفة وعلماء جماعة ثينا ، لكن هذا لا يعني أنه كان واحداً منهم ، بل كان فيلسوفاً تحليلياً بالدرجة الأولى ، مثله في هذا مثل برتراند رسل ، ومن قبله چورچ مور ، ومن بعده فلاسفة التحليل اللغوي من المعاصرین ، وليس من الضروري أن يكون الفيلسوف التحليلي ، وضعياً بالضرورة .

٢ - ان فلسفه فِي تُجْنِشْتِين تعرضت لنقد كثير ، كان بعضه قائماً على أساس من عدم الفهم وبالتالي كان سطحياً متهافتاً ، وبعضه الآخر كان قائماً على أساس من المغالطة المنطقية ، وبعضه الآخر كان قائماً على أساس من نظرة فلسفية مختلفة و موقف فلسفى مختلف ، مثل نقد موريس كورنفوت الذى يمثل وجهة نظر الماديين الجدليين (١٢٤) وبعضه الآخر كان صادقاً وحقيقة وبناء . ولعله أسوأ ما يتعرض له مفكر أو فيلسوف هو النقد الذى يكون من النوعين الأول والثانى . فنقد من لم يفهم ، لا يستوف شروط الحكم الخاص بتقييم أفكار غيره ، أما النقد القائم على أساس المغالطة ، فهو نقد ماكر يريد لأول وهلة كما لو كان نقداً صحيحاً ، لكنه في حقيقته ليس

هذه المشكلات . ان الفلسفة عنده فاعلية ونشاط ، هى عنده حركة الفكر ودابه في تعقبه لعبارات الفلسفة والعلم من أجل تحليلها ، لتوضيحها والقاء الضوء على معناها . وما أكثر العبارات – عنده – التي تقال في الفلسفة ولا يكون معناها واضحًا ، فيتصور البعض أن غموض الفكرة أو معنى العبارة دليل على عمق فحواها أو مضمونها ، كما يتصورون أن وضوح الفكرة وبساطة العبارة دليل على ضحالة معناها وسطحيتها ، مع أن العبارة السهلة الواضحة تكون أكثر امتناعاً في التعبير لدى من لم تتضح في ذهنه الفكرة أو يتحدد المعنى .

والواقع ان الدعوة الى الوضوح في الفكر الفلسفى أمر مشروع بل ومطلوب ، ولعل ثقجنشتین في دعوته هذه ، إنما كان يؤكد ما نادى به ديكارت من قبل في القرن السابع عشر من القول بالوضوح والتميز ، كما كان يؤكد مطلباً يتبعه الان جمهرة كبيرة من الفلاسفة المعاصرین .

أما النقد الذى ينم من خلال منظور فكري معين ، أو من خلال معتقد فلسفى خاص ، فمن الواضح أنه يعبر عن وجهة نظر خاصة ، مثل نقد الماديين الجدللين أو المثاليين المتطرفين لفلسفة ثقجنشتین . أما النقد الموضوعى البناء فهو الذى أفاد منه ثقجنشتین بالفعل ، الأمر الذى انتهى به في فلسفته المتأخرة ، إلى التخلى عن كثير من أفكاره الفلسفية الاولى بعد اقتناعه بامكان التخلى عنها .

٣ – ولعل هذا ينتهي بنا الى ما يرمى اليه ويوضعه ثقجنشتین نصب عينيه في الفلسفة . وهو أن الهدف من التفليسف ، ليس هو الانتهاء الى نتائج يقينية ثابتة مطلقة ، أو اقامة انساق فلسفية مثالية ميتافيزيقية على الطريقة التقليدية المعروفة لدى كبار الفلاسفة . إنما الهدف عنده هو تحليل مشكلات الفلسفة ، وذلك لتوضيحها وبيان ما هو حقيقي منها وما هو زائف ، عن طريق تحليل عبارات اللغة التي تساق فيها

* * *

أَهْمَ مُؤْلِفَاتِ فِي تِجْنِشْتِين (مرْتَبَة زَمْنِيَّ)

(١) « الْمَذْكُورَات » (١٩١٤ - ١٩١٦)

Notebooks, 1914—1916

(translated and edited by : Anscombe, C. E. Oxford, Blackwell, 1961)

(٢) « رِسَالَة منْطَقِيَّة فَلَسْفِيَّة » .

Logisch — Philosophiche Abhandlung.

(edited by : Ostwald, in Annalen der Naturphilosophie, 1921, Wien)

وقد ترجمت هذه الرسالة عام ١٩٢٢ ، ثم عام ١٩٦١ إلى اللغة الإنجليزية، كما ترجمها إلى اللغة العربية كاتب هذه المقال عام ١٩٦٨ ، وفيما يلى بيان بهذه الترجمات :

Tractatus Logico — Philosophicus

(١)

(translated by : Ogden, C.K., London, Kegan Paul, 1922).

Tractatus Logico — Philosophicus

(٢)

(a new translation by : Pears, D. F. and McGuinness, New York, The Humanitius Puss, 1961).

(٣) « رِسَالَة منْطَقِيَّة فَلَسْفِيَّة »

(ترجمة الدكتور « عزمي اسلام » — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٦٨)

(٤) « مَحَاضِرَاتِ فِي تِجْنِشْتِين بَيْنَ عَامَي ١٩٣٠ و ١٩٣٣ »

Wittgenstein's Lectures in 1930—1933

(edited by : Moore, G. E., in Mind — January 1954, January 1955).

وقد أعاد مور نشرها في كتابه :

Philosophical Papers, (London, K. Paul, 1948).

(٥) « الْكِتَابَانِ الْأَزْدَقِ وَالْبَشِّي »

Blue and Brown Books.

(Oxford, Blackwell, 1958).

وهو عدة محاضرات خاصة القائمة في تِجْنِشْتِين على اثنين من طلبه فيما بين عامي ١٩٣٣ ، ١٩٤٤ . وقد أعيد طبع الكتاب عام ١٩٦٠ ، ثم عام ١٩٦٤ .

(٦) « مَلحوظَاتُ عَلَى اسْسِ الْرِياضِيَّاتِ »

Bemerkungen über die Grundlagen der Mathematik.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية ونشرعنوان :

Remarks on the Foundations of Mathematics.

(Trans. By : Anscombe G.E. — edited by : Anscombe & Rhees, R. and Von Wright — Oxford, Blackwell, 1956).

وهو مختارات من ملحوظات سجلها فنجنشتين عن فلسفة الرياضة فيما بين عامي ١٩٣٧ ، ١٩٤٤ . وقد أعيد طبع الكتاب مرة ثانية عام ١٩٦٤ .

(٦) «أبحاث فلسفية»

Philosophische Untersuchungen

وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية ونشر بعنوان :

Philosophical Investigations

(trans. by : Anscombe, G.E. — edited by : Anscombe, G. and Rhees, R/— Oxford, Blackwell, 1953).

وهو يمثل فلسفة فنجنشتين المتاخرة ، وقد أعيد طبع الكتاب عام ١٩٥٨ ، ثم عام ١٩٦٣ .

